

المجلد الثاني العربي

(دمشق) ايلول سنة ١٩٢٦ م الموافق صفر وربيع الاول سنة ١٣٤٥ هـ ٦٩

(١)

عمل الذهب

« بالطريقة الصناعية »

سادقي ، اخواني :

اسمحوا لي قبل ذلك بذكر مقدمة أبين بها الأمر الذي حملني على انتقاء هذا الموضوع دون سواه ، حملني عليه ما أستمع من آونة إلى أخرى من قدوم بعض أشخاص غرباء من جهات مختلفة يدعون صنع الذهب ، فينقربون من بعض سنج العقول حتى يتوصلوا بدهاء ومكر إلى اختلاس أموالهم وثروتهم ويتركونهم حيارى ، ملء رؤوسهم الأمل الذي يدفعهم إلى العمل الدائم لئلا تلاف ما بقي بأيديهم ، أو ما سيحصلونه في مستقبلهم من مال في نفس السبيل .

وقبل ابداء رأيي الخاص أطرح الاسئلة الآتي ذكرها على بساط البحث لتحليل المسألة تحليلاً دقيقاً .

صناعة الذهب صناعة قديمة ، قال بها الأولون واختلف عليها المتأخرون بين مصدق ومكذب ومثبت ومنكر ، ولا بد لكل شيء من أساس . فهل لهذه الصناعة أساس بني عليه المتقدمون نظر ياتهم ؟ وما هو هذا الأساس ؟ وهل توصلوا حقيقة لصنع الذهب ؟

من قرأ يا سادة شيئاً من كتب الأقدمين ، يعلم ذلك الأساس الواضح الذي

(١) محاضرة الاستاذ الكياوي السيد عبد الوهاب القنواني من أساتذة المعهد

الطبي العربي في دمشق ألقاها في ردهة المجمع العلمي في تشرين الاول ١٩٢٣ .

بنيت عليه تلك النظريات ، وهو قولهم بوحدة المادة ، أي انهم كانوا يعتقدون بان جميع العناصر الموجودة هي من اصل واحد ، فكيف لا يمكن تحويل بعضها الى بعض وذلك بان يعمل من النحاس ذهب ومن الرصاص فضة الخ ؟ ! قام بهذه الفكرة العرب في أدوار حضارتهم ولم يبق منهم صغير ولا كبير الا واكثر التجارب وبذل المحنة في التوصل الى هذه الغاية . فدوتوا الكتب والرسائل ، وكثر بينهم الجدل والقييل والقال . فكم من معترض أقنعوه ، وكم من مكذب حجوه ببراہينهم الناصعة . وكم من أحمق جاهل ضل في غياهب جهله وأضاع حياته بالبحث الفاسد وذلك لانه فهم من الرموز ظاهرها ، ولم يتوصل لغباوته الى حلها ، ولذلك مال الناس للابتكار حين عجزوا عن كشف ما وراء الستار ! وكم كُتِبَ على صفحات الكتب القديمة كالحواشي بعد ذكر تجربة غامضة مثلاً (اقرأ نقرح جرت تحزن) .

وحدة المادة هي الأساس الذي بنت عليه العرب نظرياتهم واستنتجت منه إمكان تحول المادة من شكل الى شكل آخر ، ومن حالة الى أخرى بالموامل المختلفة . ماهي تلك المادة الاولية التي هي اصل العناصر ؟ لقد بحث علماء الكيمياء في غامة العناصر المعروفة حتى اليوم ، فوجدوا بان الطفها وأخفها وزناً الهيدروجين (مولد الماء) الذي هو أخف من الهواء بأربع عشرة مرة ونصف تقريباً ، وثقل غرام واحد منه نيلاً حجم احد عشر ليتراً وربعاً .

(نقصد بالعنصر المواد المعلومة الخواص والتي لا يمكن ان تنتج أجساماً أبسط منها بوسائلنا الحاضرة من حرارة وكهرباء ، والمتكونة ذراتها من عين الجواهر الفردة كالحديد مثلاً . وبالتحاد هذه العناصر المختلفة لتكوّن أجسام جديدة تخالف اصولها كل الخالفة فندعوها بالأجسام المركبة كالماء مثلاً المركب من الهيدروجين والأكسجين الخ) .

فهل الهيدروجين اصل للعناصر . وهل ذراته المتكاثفة بنسب مختلفة كوّنات العناصر المختلفة الطبائع والصفات ؟ . قبل الجواب على ذلك نقول : ان الكتلة الكبيرة من أي مادة كانت مكونة من قطع صغيرة لا تخرج عن جنسها وتلك القطع الصغيرة مكونة من ذرات ، والذرات من جواهر فردة (ويقصد بالجواهر الفرد Atome

اصغر جزء من المادة) . فالتحويل الذي نبتغيه من المادة هو تحويل هذا الجوهر الفرد اما بتكاثف أجزائه ليصير مادة ثانية غيرها ، واما بانقسامه بالذات . واذ كانت الهيدروجين أخف العناصر المعلومة بالفاق العلماء ، فهل امكن تكثيف جواهره او تقسيمها ؟ لم يعلم التقسيم ولم يحقق وانما امكن التكثيف . وقد حصل من هذا التكثف ذرات الهيدروجين . والبوت ظاهر ما بين ذراته وجواهره في الطبيعة والصفات والتأثير ! . . .

(نقصد من كلمة ذرة كل كلمة حاصلة من تمازج جوهريين فردين فاكثر سواء كانا من جنس واحد او اكثر ، فما تكون من عنصر واحد يحافظ على اصله وندعوه بالجسم البسيط وما تكون من عنصرين مختلفين فأكثر فهو جسم مركب وقد خصصنا بحثنا على البسائط وتركنا المركبات) .

لنعد الى الذرات المكونة من جواهر هي من جنس واحد ، فلو قابلناها باصل جواهرها لوجدنا بينها برناً شاسعاً في الخواص والتأثير والصفات الظاهرة كما قدمنا . فالهيدروجين مثلاً بمجالة الجوهر هو غير الهيدروجين في حالة الذرة فاننا نجد له تأثيراً شديداً لا نراه في الهيدروجين الذري من حيث ارجاعه مركبات الزرنيخ والاشمد الى اصولها مثلاً . وذلك امر يعجز الهيدروجين الذري عند الامتيان بمثله ، ومن خاصته هذه سمي بالهيدروجين الفعال او المتولد .

وكذلك الفوسفور فانه يتكاثف ذرة اكثر من ذرة اي باختلاف عدد الجواهر في ذراته تختلف صفاته وتأثيراته . فالذرة المكونة من اربعة جواهر (p 7) تدعى الفوسفور الابيض وهو مادة قابلة للتبلور تذوب بكبريت الفحم وتنصهر بدرجة $+ 44$ سانتيفراد ، تلغ في الظلام . وتشتعل بتماس الهواء من نفسها حتى بالدرجة العادية من الحرارة وهي من أشد السموم .

والذرة المكونة من ثمانية جواهر (p 8) تدعى الفوسفور الاحمر وهي ليست سريعة الاشتعال ولا تذوب بكبريت الفحم ولا تلغ بالظلام ولا يبادل سمها معشار سم الفوسفور الابيض وتأثيرها في العناصر الاخرى قليل . وهكذا في الكبريت العادي أشكال مختلفة بسبب اختلاف عدد الجواهر الفردة

في كل ذرة منها . والاوكسيجين الذي هو العنصر الاساسي للنفس كل حي من حيوان ونبات موجود في الهواء المحيط بكرتنا الارضية بمحالة ذرات كل منها مكون من جوهريين من الاوكسيجين فان تكاثفت جواهره حتى بلغت الذرة الواحدة الثلاثة الجواهر التي هي الجسم المسمى بالاوزون تصبغ مادة لا تصلح للنفس مزيلة للالوان ، قاتلة للجراثيم ، مخربة للاغشية المخاطية ، توجب عسر النفس ثم الموت .

وهي صفات طارئة لم يكن لها أثر في ذرة الاوكسيجين الهوائي . وكذلك الفحم فهو في بعض ذراته الكثيرة التكاثف « ماس » يسحر الالباب بريقه ولمعانه . وفي بعضها القليلة التكاثف « غرافيت » وفي بعضها فحم عادي او حجري عديم الشكل . واليون شاسع بين الفحم والماس . فذرة الماس مكونة من اربعة جواهر من الفحم والغرافيت من ثلاثة والفحم العادي من جوهريين . ويقول بعض العلماء ان ذرة الماس مكونة من (٣٧٦٧) جواهر أي انها متكاثفة جداً .

وكذلك الزرنج اذا سبقت أبحرته المتصاعدة الى غرفة صغيرة باردة فانه يتوضع فيها بشكل زهر الكبريت العسادي مع ان الزرنج ذوروني معدني ويريق خاص . وهذا ناتج ايضاً من تكاثف ذرة أكثر من ذرة !! . فهذا التكاثف سواء كان ثابتاً او غير ثابت انتج لنا نتائج واضحة عن تطور المادة بتحول صفاتها وأحوالها .

ولنعد الى الجوهر الذي رأينا من تكاثفه ما رأينا ولنجرب هل يمكن ان ينقسم؟! امر انقسام الجوهر بحث كبير مازال ولن يزال موضع المناقشة والخلاف ! نعلم باسادة ان اليونان كما اشتهر في التاريخ منبع لهذه العلوم وقد طرقوا بلا شك هذا البحث ووضعوا اذ ذاك كلمة أتوم (atome) اي جوهر فرد التي لو فسرنا معناها الحقيقي لرأيناها مركبة من كلمتي (a) ومعناها غير قابل و (tomos) تفيد الانقسام اي غير قابل الانقسام . فيستنتج من هذه الكلمة ان اليونان كانوا يقولون بعدم قابلية انقسام الجوهر « وقد دار على الألسنة قول النساس هذا جزء لا يتجزأ (مثل سائر) » .

انتقل العلم الى العرب في دور حضارتهم الزاهرة فبعضهم نحا منحي اليونانيين بالقول

بعدم قابلية الانقسام ، وبعضهم أعمل العقل وأجهد الفكر وأكثر من التجربة فقال بالانقسام . ومنذ ذلك الحين نشأ فكر عمل الذهب بالطريقة الصناعية وامكاث تحويل المعادن بعضها الى بعض استناداً على قابلية انقسام الجوهر وتكاثفه ! . والادلة على ذلك اكثر من ان تحصى ، منها ما جاء في كتاب المكتسب في زراعة الذهب لابي القاسم العراقي قال : « لانها في الحقيقة قرابة الأجساد الذاتية ومتولدة من اصل مادتها لكن اعترضها عارض في الكيف يفسد ففتتها ومنعها من السبك والتلزز والقيام » . وقول الآخر : « ولهم حجر آخر ميت في رأي العين اذا أحكم تدبيره ، ثمالك عليه الملوك وسفكوا دماء بعضهم بعضاً حياله . والحجر الآخر فهو الماء الذي يكون منه حياة هذه الاجساد الميتة لمن يحسن التدبير بتكرار السحق والتشويه والتنعيد والحل والعقد فانه يكون منه الاكسبر الاعظم الذي المتقال الواحد على الف الف ومائتي الف مثقال من الرصاص يكون ذهباً ابريزاً » .

ونالوا يا سادتي : ان القوة مصاحبة للمادة وهي لازمة لها غير مفارقة ، وبغلي هذه القوة على المادة بصور مختلفة لتكوّن تلك العناصر المختلفة . واذاً تأت ذلك : اذكر لحضراتكم ما جاء في كتاب البرهان في علم الميزان في الصنعة الالهية لجابر بن حيان قوله : « وها انا ابدي لك معرفة قوى الاجسام الطبيعية العنصرية والتراكيب الحسية المعنوية العملية فنفهم منها بالبرهان الصنعة الالهية . لانه قد نقرر عند الفلاسفة ان الذهب حار رطب في ظاهره بارد يابس في باطنه وهو معتدل الحرارة والبرودة والرطوبة والهيوسة وان الفضة باردة يابسة في ظاهرها حارة رطبة في باطنها قد غلب جزء من البرودة وجزء من الهيوسة . وان الأسرب اي لوصاص بارد يابس في ظاهره حار رطب في باطنه مائل عن الاعتدال بالبرودة والهيوسة ، وان القلي اي القصدير حار رطب في ظاهره بارد يابس في باطنه منحرف عن الاعتدال بقوة البرودة وشدة الهيوسة ، وان الحديد بارد يابس في ظاهره حار رطب في باطنه منحرف عن الاعتدال بقوة البرودة وشدة الهيوسة ، وان النحاس حار رطب في ظاهره بارد رطب في باطنه منحرف عن الاعتدال بقوة الحرارة والهيوسة وكذلك في جميع العقاقير المستعملة في هذه الصناعة الشريفة فهي اذا ظهرت فيها طبيعة كمن ضدها

واخفى ما يقابلها والخاذق الحكيم يبحث عن طبائع هذه وعن درجاتها واثوانها ، وكم في كل مفرد منها من اجزاء الحرارة والبرودة والرطوبة والهبوسة ويتأمل كل ما ذكره من الماثلة والمقابلة فعند ذلك تظهر له النتيجة والبرهان » . الى ان يقول : « واعلم ان الحرارة والبرودة ضدان والهبوسة والرطوبة ضدان ، والمقاومة بال ضد ، والحرارة والرطوبة متصادقان والبرودة والهبوسة متصادقان والحرارة يتبعها الهبوسة في الخارج والبرودة يتبعها الرطوبة في المازجة وكذلك الحرارة ، والرطوبة تتبعها الهبوسة . والبرودة في المازجة والمقاومة بالمضادة . فان الاشياء تضعف باضدادها وتقوى باشكالها » . ثم يقول : « فان أعطيت الفضة ما نقصها وعدلتها بميزان الاعتدال حتى تدفع ما غلب عليها من البرودة والهبوسة استحوطت ذهباً خالصاً وهكذا بقية الاشخاص المعدنية ! » . وقد ذكر في محل آخر من الكتاب ما مفاده : « والحرارة تعدلها الرطوبة وبهذا تعمل جميع الاعمال في جميع الكائنات والمكونات بين المواليد الثلاثة المعدن والنبات والحيوان . تألف هذا التعديل الطبيعي بعضها مع بعض وتختلف بعضها بعضاً وتجلب بين بعضها وتطرد بعضها فهذه صفة موازين الحكماء الداخلة في جميع أعمالهم المؤلفة بين طبائعهم المكتومة لجميع تدابيرهم التي ديروا بها جميع المعادن والفوا بها جميع الطبائع وأقاموا بها جميع التلاسم فهي سرهم النافذ فافهم ترشد » . وقد قال صاحب الشذور رحمه الله من قصيدة طويلة :

انسا من قوى مركوزة في الغرائز وقوف على ما اعتاض من رمز رامن الخ .

واختلاصة : لقد ظهر من أقوال هؤلاء العلماء بانهم يعتقدون بكموت القوى المختلفة في المواد كل على حسب درجته ! . كيف نعلم وجود هذه القوى ؟ وهل يمكن ان ترى ؟ ان القوة كامنة في المادة تظهر حين ايقاظها وتحريكها . فسلوك الكهرباء لا يشعر بالقوة الموجودة فيه الا حينما يلمس لاس وتختلف أعصابه او حينما يربط بمصباح كهربائي ويبلغ ضوءه ، او عندما يربط بمحرك كهربائي فتبدو حركته وهكذا .

لنتظر الى هذا المسحوق الابيض (مخلوط السكر وملح برنلو) ولنلاحظ قواه الكامنة

فيه بمحرك . » (للتجربة) 'صب' على المستحق الابيض زيت الزاج فاشتعل اشتعالاً مذهشاً .

وهنا نحن نشاهد من النار والضياء والحركة ما تجزع منه النفوس وترتعد الافئدة . وهكذا البارود يلتهب عندما توظف قواه المدخرة بقبس ، والديناميت ينتفجر حينما توظف قواه الكامنة فيه بضغط او بصدمة . والهر تبدو قواه فيهتز ويضطرب عندما يرى الفأر ماراً امامه . والسبع يكشعر عن أنيابه ويخفز للوثوب حينما نترامى له فريسته . والشريف ينفعل ويحتد ويخدم بالغليظ حينما تهبان كرامته . والخسيس الدنيء الوضع يظهر لؤمه وخبثه وأذاه عندما يعتلي منصة الحكم وتكون يده مقاليد الامور . فكل كائن لا بد ان يدخر في نفسه قوة تظهر حين الايقاظ والدلائل والتحرىك . وبالطبع من الممكن تحويل هذه القوى من شكل الى شكل وانقاصها او زيادتها . ومثال ذلك القوة الكهربية الكامنة في بطارية كهربائية لتحول بحسب تجليها الى حركة وضياء وحرارة ، والسبع المفترس ينقلب بالترهبة الى حمل ودبح بألف البشر ويخالطهم في ملاعبهم وفي حفلاتهم ويصادقهم وبوادئهم ، ولكن اساليب هذه الترهبة مزينة يختص بها الله من يشاء من عباده وقليل ما هم !

خالف علماء العرب بعضهم بعضاً في إمكان هذا التحويل . فقال ابن سينا : ان قلب اعيان صور الموجودات ممنوع ، ولا يمكن انقلاب الذهب الى الفضة كما لا يمكن انقلاب الفضة الى الذهب . ويمتنع ان ينقلب النحاس فضة كما يمتنع ان تنقلب الفضة نحاساً ، وكذلك في بقية الاشخاص المعدنية . لكن ارى بإمكان دخول الصبغ الابيض على النحاس فيصير سيف قوام الفضة ولونها فيكون نحاساً مصبوغاً لا فضة ، ويمكن دخول الصبغ الاحمر على الفضة فتصير في قوام الذهب ولونه فيكون فضة مصبوغة لا ذهباً . فردوا عليه بقولهم : قولك هذا يدل على انك قانع بإمكان دخول الصبغ على الفضة ومسلم فيه . واما انكارك بعدم انقلابه حقيقة الى ذهب ، ذلك لانك لم نطالع الا على ظواهر أقوال الحكماء ، ولم تصل الا الى القشور فعملت أصابعاً زائفة لا قيمة لها . ولكن لو قد تركت وحلت تلك الأغايز ووصلت الى اللب

لقلت بان الفضة انقلبت بعد الصبغ والتحليل والتفصيل والتركيب والحل والعقد الى ذهب خالص وليست هي فضة مصبوعة كما زعمت . اذ ما ذا ينقص الفضة عن الذهب غير التلرز في الذرات !! . ما ابغ هذه الحجة وما اوضح معانيها ! . هذا رأي علماء العرب الذي قرأهم عليه في عصرهم الذهبي ، ذلك العصر الذي كانت يفاخر الجوزاء برجاله العاملين الذين انبثقت من عقولهم أشعة نور كانت أكثر تلالاً من نور الشمس . تلك الادمغة التي ليست من العلم تيجان العظمة والفخار ، وألبست الكون حلة الشرف والسؤدد ، لا تزال ولن تزال فخاراً للعالم ، ومجداً للعرب لا يبلى ولو بلي الزمان . وقد كانت الغرب اذ ذاك يتبه في ظلمات الجهالة لا مرشد ولا دليل ، فسيحان مقلب الأحوال .

آه واحر قلباه ! . ذُر الرماد على تلك النار المتأججة فأخمدها ، وغربت هاتيك الشمسوس نعيم الظلام على تلك الربوع ، فاستبدل الخوف بالأمن والعجبية بالمدينة والذل بالعز والجهل بالعلم ، فأصبحنا نسمع في هذا الليل المدمم انات الأيامي وبكاء اليتامي واستغاثة المظلوم فلا حول ولا قوة الا بالله . وبعد ذلك لغبت الايدي والآثمة وهدمت تلك العروش ودكتها ، واستوات على الكتب فأحرقت معظمها ، ولم تبق الا النزر القليل . وهو اليوم يزين أكثر دور الكتب في اوربا العظيمة و بعد من أهم الآثار العربية القديمة فيها . ثم ما ذا ؟ . اخذت تنبعث أشعة النور الذهبية من بين طيات تلك الصفحات التي ادخرت فيها محصلات عقول اولئك المنكودي الطالع ، فاستنار الغرب وأبصر الحقيقة . فترك التعصب والوحشية وأقبل بجند ونشاط الى حياض العلم فورد الماء زلالاً وطاب له موردآ . ثم تعلم وعلم فنقدم وبني على تلك الانقاض المدرسة صروحاً لا تفني ولا تهتدم ؟ ! .

فهل يبحث الغربي في المادة والجوهر وامكان انقسامه او تحوله ؟ . نعم وقد رجع في حكمه الى نظرية اليونان القائلة بعدم الانقسام ، وزاد على ذلك (لا فوازيه) العالم الفرنسي الكبير بقوله بعدم إمكان تغير المادة وبكونها ليست فانية ايضاً ووضع قانونه المشهور (Dans la nature rien ne se perds rien ne se crée)

اي لا شيء يفقد ولا شيء يخلق في هذا الوجود» . خالف لافوازيه العرب وله الحق لانه لم يفهم من كتبهم الا ظاهرا الاقوال ولم ينجح بالأفعال . لان كتب الاقدمين عبارة عن رموز والغاز كانوا يلقنونها خواص تلامذتهم ويكتبونها عنم لا يستحقها من اهل العبادة والدناءة فصانوها وضنوا بها ، خوفاً على العالم من الاضمحلال وسوء المآل . ظل هذا الاعتقاد منتشر في اوربا ما يقرب من قرن ونيف الى ان اكتشف معدن الراديوم ابو الجباب فبطل حكم لافوازيه وسقط قانونه من شاطئ مجده ، اذ ثبت تحول هذا العنصر الجديد من شكل الى شكل آخر . وثبت ان المادة فانسية ايضاً كما جاء في نظريات العالم غوستاف لوبون القائلة ان المادة لتقلب بالتدريج الى قوة والقوة الى الاثير ؟ ! .

واليكم ياسادتي آخر حكم بعد طول التجربة والاختبار ! . اكتشف معدن الراديوم سنة ١٨٩٩ العالم كوري وزوجته والعالم بيون (Bmeont) . وهو معدن متصف بصفات غريبة سيف بابها من حيث نشره للحرارة والضياء من غير وقوع فعل كيميائي او حكي ومن غير ان ينقص من وزنه شيء في الظاهر .

ظن العلماء باديء ذي بدء ان اجزاء الراديوم منبع تصعدات ثابتة ودائمة ، اي ان الحرارة والضياء المنبعثين منها ناشئان من تحول القدرة المدخرة فيها الى قدرة فعالة . ولكن مكشفه كوري وزوجته مع ثلة من ارباب العلم قالوا : ان ذلك ناشئ عن انقسام اجزاء الراديوم وتحولها الى هليوم . فوزن جوهر الراديوم ٢٢٥ والهليوم ٤ . وهاكم الاثبات :

قال كوري وضعت نثرة جافة من الراديوم بوزن ٧٠/٠ سانيغراماً في كرة زجاجية اخلت هواءها وسددتها على النار سداً محكماً . وبعد ان تركتها ثلاثة اشهر عدت اليها فاصداً فتحها بالمبرد « ودفعاً لكل احتمال سترت نفسي انا ومعاوفي بمقوي ثخين » فلم اكد اضع المبرد الا وحدثت صدمة يصحبها اشتعال خفيف وانتشرت قطعة الراديوم في الغرفة اجزاء صغيرة ، بقيت عشرة ايام انا ومعاوفي حتى جمعناها . اما اسباب الاشتعال والصدمة فهو انقلاب معدن الراديوم الى غاز الهليوم الذي احدث تضيقاً عظيماً داخل الكرة .

فبعد ان نشر كوري تجربته هذه في جرائد باريز قام اهل العلم وقعدوا بين مصدق ومكذب ومشتبه ، ونظر صودي (Soddy) وراسمو (Rasmoy) مشاهدات كوري هذه واثبتا تحول الراديوم الى هليوم حقيقة ، وذلك انها اُخليا هواء أنبوب زجاجي وجمعا فيه تصعدات راديوم فعال وانورا محتو ياتنه بتصعدات الكهتريكية ثم عابسا بهرأة الطيف فرأيا الطيف الخاص بهليوم . فأقر اهل العلم حينئذ بالحكم وطأطأوا الرؤوس أمام الحقيقة الراهنة وبالطبع تحقّقوا ان من قال بإمكان تحول المعادن بعضها الى بعض محق في دعواه وبأن العناصر من مادة واحدة . ومن ثم اخذوا ينظرون و (خصوصاً بعض المتأخرين منهم) الى العرب الكرام بعين الاعتبار بعدما كانوا يرمقونهم بنظرات الازدراء والاحقار .

وأجمل من هذا نظرية جان بران الحديثة التي شبه بها الجوهر الفرد بالكون فقال : الجوهر الفرد مكون من اجزاء صغيرة غير متجانسة دعاهم الكترون . وان هذه الالكثرونات ليست بحجم واحد . فبعضها كبير وبعضها صغير ، فالكبيرة تحمل الكهربية المثبتة وتدور على محورها كالشمس ، والصغيرة تحمل الكهربية المنفي وتدور حول الاجزاء الكبيرة كالسيارات ويتكون من هذين القسمين جملة معتدلة هي الجوهر الفرد . وان جميع الاجزاء الفردية من مادة واحدة واختلافها في الاجسام البسيطة ناشي عن اختلاف سرعة الاجزاء الصغيرة الدائرة حول الشمس وبعدها عن مركز المحور . واختلاف وزن الجواهر بعضها عن بعض ناشي ايضا عن اختلاف عدد الشمس والسيارات فيها . فالجواهر الثقيلة مكوّنة من عدة شمس وسيارات كثيرة والخفيفة مكوّنة من شمس واحدة وسيارات قليلة . وهكذا فالراديوم الكثير الشمس والسيارات يُخلص بعض سياراته من الجاذبة المركزية اثناء دورها وتساعد بحالة اجزاء صغيرة مثبتة هي الهليوم .

فما أشبه هذه النظرية بنظرية الجلدكي وأضرابه الذين يقولون بان الفرق بين العناصر هو التلّز في الذرات وعدم التساري في القوى من حيث الحرارة والرطوبة والبرودة والهيوسة .

اصغوا اليّ ياسادتي واسمعوا هذه الأعجوبة • قال صاحب الشذور :
 فشتان بين اثنين هذا مكوكب يدور وهذا مركز للراكر
 وأنها عند الحسبم لواحد لانهما من واحد متمايز
 فهذا على هذا يدور وهذه لها مركز رأس بقدره راكر
 وبينهما ضداً منفي ومثبت لقاؤهما فودين ليس بحاجة
 وبينهما جسم مشف كانه من اللطف فيما بينهما غير حاجز
 فأعجب بها من اربع حال بعضها الى بعضها عن نسبة في الغرائز
 ولا أعلم ان كان هذا من باب توارد الخاطر ما بين صاحب الشذور وجان بران •
 ان ان روح الاول حلت بالثاني بعدمضي ٨٠٠ سنة نقر بها ان كنا ممن يقول بالحلول •
 والله أعلم •

نتج معنا أخيراً اتفاق الكلمة على وحدة المادة وعلى إمكان التحول ، وبالطبع ليس الهيدروجين هو اصل العناصر لانه جوهر ربما يكون كبيراً ومكوناً من شمس كثيرة وسيارات ، وبأني يوم يتوصل فيه علماء الفن لفهم هذه الكواكب بعضها عن بعض ، والحصول على أجسام أبسط من الهيدروجين • قرأت في جريدة تركية على أثر انتهاء الحرب العامة ولعلها « إقدام » مقالة مترجمة عن مجلة انكليزية مفادها : اثبات انقسام عنصر الآزوت (وهو العنصر الموجود في الهواء المحيط بنا والذي يؤلف أربعة أخماسه نقر بها) الى غازي الهيدروجين والهليوم • فهذه خطوة كبرى في انقسام المادة ايضاً وربما سنسمع بتحول وانقسام عنصر ثلث عنصر مادام العلم يتقدم الخطوات الى الأمام والمستقبل بيد الله •

لنعد الى سؤالنا الأخير : وهو هل توصل العرب حقيقة الى صنع الذهب ؟
 اجيب عن ذلك بما يأتي :

تلك آثارنا ندل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ولديا اليوم من تلك الآثار القديمة بعض الكتب المخطوطة والمطبوعة من كتب فن وأدب وتاريخ الخ • وكلها تشهد بانهم كانوا يصنعون الذهب حقيقة • واليك

ما جاء في عيون الأنباء في تاريخ الأطباء لابن أبي أصيبعة في ترجمة أبي بكر محمد ابن زكريا الرازي قال : وكان في أول أمره قد عُني بعلم السيمياء والكيمياء وما يتعلق بهذا الفن وله تصانيف أيضاً في ذلك . ونقلت بالمظفر بن معرف قال : كان الرازي يقول : انا لا أسمى فيلسوفاً الا من كان قد علم صنعة الكيمياء لانه يستغني عن التكسب من اوساخ الناس وينزه عما في أيديهم ولم يجتج اليهم . ثم قال وحدثني بعض الاطباء ان الرازي كان قد باع لقوم من الروم سبائك ذهب وساروا بها الى بلادهم ثم انهم بعد ذلك بسنين عدة وجدوها وقد تغير لونها بعض التغير وتبين لهم زيفها فجأوا بها اليه وألزم بردها . وقال ان الوزير كان أضاف الرازي فأكل عنده أظمة لذينة لا يمكن ان يأكل أطيب منها ، ثم ان الوزير تحيل بعد ذلك حتى اشترى احدى الجوارى التي تطبخ الأظمة عند الرازي ظناً منه ان تطبخ مثل ذلك . فلما صنعت له أظمة لم يجدها كما وجدها عند الرازي فلما سأطأ عن ذلك ذكرته له ان الطبخ واحد بل اننا كنا نجد القدور التي عند الرازي جميعاً ذهباً وفضة . فسبق الى ذهنه حينئذ ان جودة الأظمة انما هي من ذلك وان الرازي قد حصلت له معرفة الكيمياء فاستحضر الوزير الرازي وسأله ان يعرفه ، فاقد حصل له من معرفة الكيمياء . فلما لم يذكر له الرازي شيئاً من ذلك وانكر معرفته خفقه سراً بوتر . وهكذا ذهب الرازي طعمة المطامع الاشعبية رحمه الله تعالى .

وذكر ابن أبي أصيبعة أيضاً من مؤلفات الرازي اثني عشر كتاباً في الصنعة (اي صنعة عمل الذهب) الاول كتاب المدخل التعليمي الثاني كتاب المدخل البرهاني الثالث كتاب الاثبات الرابع كتاب التدبير الخامس كتاب الحجر السادس كتاب الاكسير وهو عشرة أبواب السابع كتاب شرف الصناعة وفضلها الثامن كتاب الترتيب التاسع كتاب التدابير العاشر كتاب الشواهد ونكت الرموز الحادي عشر كتاب المجن الثاني عشر كتاب الحيل وختمها بكتاب أثبت فيه ان صناعة الكيمياء صناعة أقرب الى الوجود من الامتناع سماه كتاب الاثبات . وقد كتب الامير خالد بن يزيد لابيهِ يزيد وكان سافر في طلب العلم وخصوصاً الكيمياء بإشره بنجاح مسعاه .

أيا راكباً نحو الشآم عشية يؤم دمشقاً قف فحمل كتابيا
وبلغ يزيداً حين يتلو رسالتي وقل خالداً قد نال ما كان راجيا
الاقدم ملك الشمس والبدر عنوة وحزنها من بعد طول عنائيا

ويقصد من الشمس الذهب ومن البدر الفضة كما هو معلوم من مصطلحاتهم . والامير خالد من يستشهد بأقواله وأفعاله أكثر علماء الكيمياء القديمة . وله كتاب الفردوس الأعلى الذي جمع فأوعى رحمه الله رحمة واسعة .

ومن الشواهد على ذلك قول صاحب الشذير : « وقد ذكروا عنه انه بدأ في تحصيل هذه الصنعة وعمره نحو الثلاثين وبقي يبحث نحو ثلاثين سنة حتى فاز بالغرض ولسوء الطالع لم يعيش بعدها أكثر من ست سنوات دون في خلالها كثيراً من الحقائق ناطلاً عقدها بقصائده الرقيقة التي تدل على مقدرته وعلو كعبه ومن قوله :

فما زلت والاحشاء تنفوس كأنها لشدة ما ألقى بنار الجوى تكوى
أزبل مصون الدمع في نيل وصلها فكنت كما في منه أخط في عشوا
فلما رأيت الوصل ينسأى بجانب ولم استطع صبراً على الرشا الأقوى
وهاج من الأشواق ما بي لو أنه بهج برضوى ذاب من حرها رضوى
سألت الذي يجي الزمير بلطفه فيجعله للروح بعد البلى مثوى
ليفتح لي في الحب أبواب وصلها فلت على أيقال هجرانها اقوى
فقرت مني دارها فاذا الهوى وإن كان مر الطعم أحلى من السلوى
ولما التقينا بالمعرف أقبست نواصلي حباً وتهجري زهوى
فلم أر أشهى من وصال مكدر بهجر إذا لم يفسد الكدر الصفوى
فكنت وإياها وقد لفنا الهوى كأننا معاً ماء الغمامة والقهى
فلا ننكر بعد الفراق انصالنا فما برحت مني على بعدها عضواً
ولا تعجبا ان كنتما قد علمنا بفريقنا جزئين من عودنا جزءاً
لقد خلقت مني بالطف حيلة كما خلقت من آدم زوجة حوى
وإني وإياها لضدائ روحها على الوصل في نفي وجسمي بها يذوى
فقد ضمن قصيدته هذه رحمه الله الصنعة من أولها إلى آخرها .

ومن الأدلة الواضحة أيضاً ما جاء في مقال الاستاذ محمد كرد علي في الجزء الثالث والرابع من مجلة المجمع العلمي شيد الله أركانه وهو يعد ما جاء في مخلفات سنان باشا احد حكام دمشق سابقاً . وبني جامع السنانية ، نقلاً عن كتاب الباشاسة والنضاة الخطي الذي وجد في مكتبة برلين قوله : وفي داخل صندوق منها مائتا مثقال من الاكسبر كل مثقال منها على الف قنطار من الحديد يستحيل ذهباً خالصاً . فكل هذه الأحاديث وكثرة هذا التواتر تدل على ان الامر واقع لا محالة .

انكر على العرب امرهم هذا كثير من علماء الافرنج وعدوه سخافات وخرافات ، ومنهم من كان يطمع بهم وينسب المشتغلين به الى الجنون (والمرء عدو لما يجمل) . على انهم لم يجرؤوا من عاقل يقدر البأس حق قدرهم ، او يذكر للوقت حسناتهم ومن هؤلاء العالم فيجييه (Figuier) الذي تعرض بمقدمة كتابه الصيدلة (La pharmacie) وهو يشرح تاريخ الصيدلة حتى دور العرب فقال وأحسن وأنصف في قوله :

Les alchimistes Arabes sont nos véritables aïeux . Si l'alchimie n'a pas trouvé ce qu'elle cherchait , si elle a échoué dans ses longs efforts pour la recherche de la pierre philosophale , elle a trouvé la chimie . Et cette conquête est autrement précieuse que la vaine arcane tant poursuivi par la passion de nos pères .

ومعناه ان سبأوي العرب هم أجدادنا الحقيقيون ، فاذا لم تجد السيمياء ولم تتوفق بعد العناية الطويل للظفر بججر الفلاسفة فانها وجدت الكيمياء . وهذا التوفيق اثنى من الأسرار العديدة الفائدة التي أطلع بها آباؤنا ايما ولوع .

اما علماء الفخ الخاخر من الافرنج فانهم يجهشون اليوم عن عمل الذهب وقلب أعيان المعادن بعدما تبين لهم قابلية انقسام المادة وتحوها ، وثبت لديهم وحدة المادة ، واكبر دايبل على ذلك الموسيورو ترفورد العالم الانكليزي وما قام به من قلب عدة معادن بواسطة معدن الراديوم .

اما فكري الخاص بإسادة فهو يمكن (اعمال الذهب بالطريقة الصناعية) وبأن

الأقدمين قد صنعوه حقيقة ، ولكنهم حجبوا صنعهم هذا بستار كثيف من الرموز ، لم يتمكن احد من الناس ان يحله الا من لقنوه ذلك ، واخذوا عليه بنفس الوقت العهد ان لا يسوح به الا للاهل . وقد مات هؤلاء وتواروا في التراب وتوارت معهم شعبة الذهب وبقيت سرّاً مجهولاً . ومهما حاولنا كشف القناع عن هذا السر فلا نستطيع لان كل عالم منهم وضع لنفسه رموزاً خاصة به وبمريديه فقط لا يطلعون احداً عليها مهما حاول . وكثير منهم من قتل ولم ينج بكلمة واحدة . والحق معهم في ذلك لان في الذهب قوام الهيئة الاجتماعية فان ابتذل اندك ذلك القوام وعمت الفوضى . ولا يخفى انه عندما صنع الماس الصناعي في فرنسا وضع قانون يقضي باعدام كل من يصنع الماس صيانة لثروة الملوك والأسر الشريفة والمصارف الخ .

اما من يتردد من آونة الى أخرى الى دمشق وغيرها من يدعون صنع الذهب فهؤلاء قوم لصوص أشرار يعبثون بعقول السذج فيختلسون اموالهم ويذهبون . فان كانوا حقيقة يصنعون الذهب فيلم يوهون على الناس بلباطل وقد اطمعهم الله على سر يغنيهم عن ارتكاب هذه الرذائل ؟ ولكنهم اتخذوا من الغدر واللصوصية اكسيراً يحولون به ذهب الناس الى جيوهم ، لا انحاس فضة ولا الفضة ذهباً !! . . .

احذر كم يأسادة من الوقوع في فخهم فانهم قوم ما كردن ، ومن الله لا يخافون ، يستهيجون في نيل غرضهم هذا كل ما يخالف الدين والوجدان ، ولا يسألون عن سلطة ولا سلطان .

اذكر لكم يا سادتي نبذة من اعمالهم في دمشق وكثيراً ما هي : جاء رجل قبل الحرب العامة الى دمشق وقد ظنه القوم ولياً طياراً من ظواهره التي كان يمدح بها الناس . وقد وقع في شركه رجل مسكين فقد اخيراً ثروته وثررة امرأته وبعض ذويه . لان المحتال خلا به وهو في ضيافته يوماً وقال له يا ولدي نحن نصنع الذهب اذهب الى السوق واحضر معك كذا وكذا . فذهب المسكين لاجتماع ما أمر به وانفسه تحذره بالسعادة ولم يعلم ما خبأه له من المكيدة . وفي غيابه حضر بعض قطع الفحم ووضع فيها ليرة ذهبية واحكم سدما ، فجاء صاحب الدار باللوازم فوضع المحتال الزئبق في البوئقة واحاطها بالفحم من كل طرف ، ثم وضع الفحم المحشوة على فم البوئقة ،

ووضع فوقها فخاً أيضاً للحصول على حرارة عالية واضرم النار ، وما هي الا ربع ساعة تقرّبنا حتى اخرج من جيبه زجاجة فيها بعض نفاط من ماء ذهبي اللون وقال : هذا هو الاكسير واتاسف لانه على وشك النفاد وصب ما فيها في البونقة ، وبالطبع تجزئ الزئبق خلال ذلك ولم يبق منه اثر وانصهرت الليرة من شدة الحرارة وانصبت داخل البونقة فعندما تحقّق ذلك ابرقت عيناه بالسرور وقال الحمد لله لقد نضج وصح العمل . ثم اخرج البونقة وصب ما فيها بقالب حديدي صغير على شكل منشور مستطيل ودفعها بعد ان بردت الى صاحبنا وقال له اذهب الى الصاعقة وبع هذه وموعد اجتماعنا غداً ان شاء الله .

ذهب الأب له وعرض قطعة الذهب على صائغ فتأمل فيها وفحصها على المحك وقال هذا ذهب بغير ٢٢ واشتراما منه بقيمتها تقرّبنا . فجنّ الرجل واتى مسرعاً الى امرأته وقص عليها ما كان فقالت يجب ان تدعو الشيخ ثانية وتعمل كل الاساليب لارضائه علّه يمن علينا بتعليمك هذه الصنعة (واخذوا يخمسون الرايات) ويبنون قصوراً شاهقة في الهواء على اساس من الماء .

قام الرجل والشمس لم تشرق بعد وذهب الى الشيخ واخفى امامه ليقبل رجله . فأكر عليه الحال وقال : ياشيخ لا تكن مكذبا يجب ان لا تظاھر ، فأنا لا أطلع احداً على هذا لسر ولوملا في الدنيا ذهباً ، تكتم ما امكنك . واخلاصة ظل بواعده ويخلف حتى عيل المسكين صبراً واخيراً جاء اليه وقال : يا رجل انما نمتنع عن المحبي لان الاكسير انتهى . فقال يا سيدي اصنع منه . قال جيد ولكن يحتاج الى خميرة من الذهب الخالص وكل درهم منه بكفي لقلب رطل من الزئبق او الرصاص الى ذهب خالص باذن الله .

فذهب الرجل الى امرأته يستشيرها فقالت : صحيح انك ابله هذه حلالي الذهبية ارهنها واعطه الدراهم التي ادخرناها لنعمل لنسا اكسيراً كثيراً تستغي به عن التعب (ونقعد انت في البيت بلا عمل كما خلصت النفقة نعمل طبخة وهكذا » تنبسط » « شوفي » بالدنيا غير اله والكدر) . فقال : حقاً ما نقولين واخذ الاساور من ساعته وباعها واحضر ٢٠٠ ليرة من دكانه وهي المال ورأس المال . فكان المجموع ٣٥٠

ليرة نقر بها قدمها لصاحبنا (هدية باردة) فقال له بعد ان وضعها على الرف ولم يكترث بها : نعمل اليوم في الليل ان شاء الله خوفاً من الفضيحة وقام يصلي . فهبط صاحب الدار مالمذ وطاب من الزاد فأكلوا وانسطوا وجلسوا يتسامرون حتي قارب نصف الليل قام الشيخ وأوقد النار وأخرج من جيبه حشائش غلاها بالماء حتى قرب الحفاف فاستخرج مادة كالخبر الأحمر ثم وضع في البونقة قطعاً من الرصاص وأكثر من الفهم فأنقذت النار وأخذ يضع من آونة الى أخرى نقطة نقطة من حبه على الرصاص ويحرك ويعزم ويقرأ ويتم بعض كلمات غير مفهومة ، ثم قال له فجأة قم ونم يارجل فقد صبح العمل وتحتاج العملية الى تدبير على هذه النار ساعتين أخرين ايضاً وأصر عليه فامثل الرجل خوفاً من غضب الشيخ ونفوره . وقام من ساعته ونام ومن شدة تعبته لم يستيقظ حتى مضى على بزوغ الشمس ساعة ونصف ، وقد أبقتته امرأته وقالت له ابن الشيخ أفاق وهو يفرك عينيه وقال ربما يكون نائماً مسكين كم تعب في الليلة الماضية . هيئي القهوة ، هيئي الشاي . قالت لم أجد الشيخ مطلقاً قام كالجنون وذهب الى غرفة الشيخ فلم يجد له أثراً وفتح الباب واخذ يفتش عليه في كل محل كان يتردد اليه فلم يعثر عليه وهكذا أضاع الشيخ وأضاع ماله وأضاع حلي امرأته وندم ولات حين مندم .

وزيادة على ذلك فان من يرى مثل ما رأى صاحبنا يتعلق بحب مكتسباً وطامحاً في السعادة ويشغل ولا يكاد يجمع شيئاً من المال الا وينفقه في هذا السبيل . والحق معه لان الرجل الذي يدرس في حياته ولم يطلع على المعادن وأشكالها وصفاتها ويرى لأول وهلة زئبقاً رجراجاً وفضة براقعة لامعة وذهباً وهاجاً يستلب عقله ولا يستمع نصيح ناصح .هما حاول في إقناعه بان هذه الطرق التي يتبعها عقيمة لا نتيجة منها .

وها انا ذا أجري لحضرتكم بعض التجارب البسيطة التي ربما يضحك من عملها صفار الطلاب :

« تجربة إحراق الماء » وضع سوائل غير ملونة واستحصل الوان مختلفة الخ .

ان الناظر اليّ لاول وهلة ممن لم يقرأ شيئاً من هذه العلوم يظن اني اعمل السحر او آتني بالعجائب او ابواب سيميا وغير ذلك على انها في الحقيقة من ابسط البساط لمن يعلم سرها ويعرف رموزها ، وهكذا يا سادتي ان الذين صنعوا الذهب كتموه عن الناس ورمزوا له الرموز التي لو وقف على حقيقتها الانسان لعمل عملهم وتوصل لما توصلوا اليه على ايسر وجه .

رموزهم القديمة لا كرموزنا فان لم يتلقها المتعلم بطول المدة من فم الاستاذ فلا يمكن ان يدريها او يعلم شيئاً منها . ومنذ قرأت قول الكجاية الشهيرة مارية القبطية « اذا سمعتم في كتبنا بكليسا او هدمنا او ضربنا او دكنا او تحليلاً او تصميماً فهو جميعه شيء واحد وهو تقع الطوائع في مائتنا » رجعت بالخيبة . كيف يمكن الوصول ولهم للتصديز مثلاً الاسماء الآتية : « القصدير ، المشتري ، انك ، ابرص ، صرار ، كوكب و كسر ، قلعي ، رخو ، كبريت ابيض ، زهرة بيضا ، القاضي ، الصابون ، النسر الطائر ، دماغ النحاس ، مهلك الاجساد ، السم الابيض ، الرخض ، المتن ، الزفر ، الاصفر ، السعد الاعظم ، حجر الأشمت ، زواش ، السادس » ولأزئبق : « عطارد ، الماء الثقيل ، الجسد الرطب ، العبد ، الآبق ، الضرار ، السحاب ، البرق ، العنان ، روح الاجساد ، الماء الخالد ، الجسد السائل ، الذنين ، ماء الحياة ، نطفة ، الطير الابيض ، الذهب السائل ، الملك ، الاوثن الرطب ، الهوى المتجسد ، العنقاء ، هرمس ، الثاني الخ » وقس عليها بقية الاجساد المعدنية .

ويلخصون عملهم بقول بعضهم :

خذ الضرار والطلقا وشيئاً يشبه البرقا

اذا مازجتمهم سحقا ملكك الغرب والشرقا

ولعمري ان من يحل هذا الرمز بعمل الذهب . ويعجبي جداً قول ابي قاسم العراقي فانه بعد ان ذكر طريقة العمل بقصة غريبة اذكر لكم شيئاً منها . قال :

وهذه الحيولى واحدة اعني من شيء واحد وليست من اشياء منفردة ولا مختلفة ولا مختلفة لان الاشياء المختلفة المنفردة اذا تركبت فرقها النار . وهذه المادة لا يمكنها تأثير صلاح دون نفعها وتركيبها حتى تظهر فيها هذه الخاصة . وانما احتج الى تفصيلها

لعلمه وهو ان الاكسجين انما هو زراعة ذهب فاحتاجوا الى غذاء يدخلونه على هذا النوع وينمو وينبع ويثمر فأخذوا من الأغذية ما يمازج ذلك النوع في حال الطبيعة ممازجة صلاح لا فساد لكن من جوهره فأدخلوه عليه برطوبة عفتها وحالتها ولطفها ، فلما لطفت صعدت الى اعلى الاناء غذاء لا تنفل فيه وفضل تحتها ثفل لطيف يسمى الملح ، فأصعدته بالبار اليابسة فطلع جرادة كجرادة الفضة خالصاً من سواد الارض وظلها وكنايتها وكان ارضاً محروقة وكان الغذاء الاول ماء كيميوسياً فغرسوا في هذه الارض المحروقة جنينهم بل غصنهم وسقوه ماءهم الكيموسي مع التلطف بالتربة والحرارة المطيفة فطلع ذلك النبات المعدني وانبع واثر والطف زهراً وخميراً سميّاً يلقى على الورق فيصيره ذهباً اجود من ذهب المعدن . وهذه الهيولي المقومة لصورة الاكسجين توجد في شجرة واحدة تطلع بارض المغرب منها فرعات عاليان لا يدر كها طالبهما الا بالجهد والتعب لياً كل من ثمرهما . وغصنان دونهما لكن ثمرهما اشد بيساً وتعليكاً من الاثنين المتقدمين ونور احدهما احمر والثاني ما بين البياض والسواد . وغصنان دونهما وهما ادنى وارخى من الاربعة المتقدمة ونور احدهما اسود والاخر ما بين البياض والصفرة . وهذه الشجرة تنبت في البحر المحيط على وجهه كما ينبت النبات على وجه الارض وهذه الشجرة التي من اكل منها خضع له الانس والجن . وهي التي نهي آدم عن اكلها فلما اكلها استحال من الصورة الملائكية الى الصورة الانسانية . وهذه الشجرة تنقلب في كل صورة من صور الحيوان . وقد توجد هذه الهيولي في طائر جثته جثة انسان وجناحه جناح طائر له اربعة ارجل ويدان ، اما ارجله فخيرة واما يداه فعز يزتان لمنفعتهما ولو علم الجاعل ان اليدين لا قوام لهما الا بالاربعة ارجل لكان عليهما اشد حرصاً من اليدين . وقد توجد هذه الهيولي في جزيرة الاندلس الباردة في منتهى البحر المحيط الجامعة للكهوف الاسطوبسية . وربما توجد في جبل بارض الهند في صخور مختلفة الالوان والطعوم والارايح والخواص . فمنها صخرة يأويها اسد شرس وربما كانت حاميتها واعلاها محيط باسفلها وادناها متصل باقصاها ورأسها موضع ذنبها وبالعكس ومنها صخرة يحملها حيوان بحري محترق مختلف المشي وهذه الصخرة لها قرنان يظهران في كون ولادتها حتى اذا مضى من عمرها

النصف عادت مدورة الجنة فاذا ذهب نصف عمرها عاد القرن كما هما الى آخر عمرها وهذا دأبها في كل الاوقات .

ومنها صخرة يتداول على حملها حيوان شبق على عنقه جلة حيوان آخر مؤلف يحمل احد الثقلين وهذه الصخرة معدن الخبث والرداءة والكر والغل ومنها صخرتان احدهما ذكر والاخرى أنثى وصخرتان احديهما مصرية والاخرى كرجية ، وفي هذا الجبل كل فن من فنون العالم . لا يوجد حقد ولا مكر الا وهو فيه ، ولا يوجد علم وحلم وفلسفة الا هو فيه ، ولا يوجد حمد وسخاء الا وهو فيه ، ولا يوجد لحو ولا طرب وغناء ومزمار واوتار ونكاح ومزاح الا وهو فيه ، ولا يوجد وزارة وزير ومشير ومدير الا وهو فيه ، من ارض الهند ملك ومن ارض مصر حكيم ومن ارض فارس سباق .

فهذه اوصاف هذا الجبل وما فيه من العجائب فافهم فانها اشارات الحكماء بينهم معناها من كان للحكمة اهلاً ومن هو بالرموز وفكها اولى ، واعلم اننا قلنا كذا وكذا لما كان لنا في ذلك والله فضل ولكن يؤخذ منا على سبيل الاستهزاء . وقد اتكناك على عقلك بعد الله ونعم من اتكناك عليه والحمد لله وحده . فان فهمت وكنيت عالماً بلغنا نجهت والا تنصحك ان لا تضع مالك ووقتك ودينك لانا اهل مدينة لا يمكن الدخول اليها الا من يعلم بلغنا . وقال صاحب السندور :

اذا كنت في حل الرموز مدانيا اخانا فقد نالت الذي كنت راجيا
والا فلا ترتع بها فهي روضة قد امتلأت لرائدين افاعيا
الى ان قال :

تمني رجال من ذوي الجهل علما وما كل ذي علم ينال الامانيا
ثم بقول :

هي الصنعة المضروب من دون نيلها من الرمز اسوار تشيب النواصيا
ولكنها ادنى اذا كانت عالماً الى المرء من حبل الوريد تدانيا
واني لاسخفي من المرء يرتقي ، به الظن في فكر الرموز المراميا
ولم يجعل العلم الرياضي روضة وكان عن العلم الآهي لاهيا

أعد نظراً فالظن كالعين لا ترى على البعد اجرام الجسوم كما هي
أبالظن والتخمين يدرك سرنا وقد بلغت فيه النفوس التراقيا

كان لها منها عليها أدلة ومن رمزها فيما يضللك هاديا
ولكننا لا نمتري ان دونها سنيماً ترى ايامهن لياليا
أنورثها من بعدنا شر عصابة كهولاً وشباناً وشيخاً شواسيا؟
تحاول ان تغشي بها كل منكر وتأمل منها ان تبليح المعاصيا
فلم يختلف في ان نواري علما باحداث رمز لا يتجيب البواكيا
ليدركن منها غابر الدهر سرنا جديداً وان كانت طروساً بواليا

فما قول بعض اخواننا الذين خدعهم هذه الصنعة الخلابية المملوءة بالآمال
وكلفها أحلام نائم ، ولا يزالون ليهمس بالتمهار ، فقد أضاعوا ثراتهم واهوالهم
واوقاتهم ولم يحصلوا على شيء وقد شابت نواصيهم وهم غافلون .
أفيعوا يا اخواني واستيقظوا من سباتكم فكل الطرق التي سلكتموها عقيمة
لا توصلكم لشيء وكل هذه الآمال خيالات وأوهام وهي كالسراب ، يحسبه الظن
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً .
عبد الوهاب القبوري



تصحيح نهائية الأرب

« نعمة اغلاط الجزء الخامس »

وسيفي ص ١٢٦ س ٧ قوله — (وطارق يجهد في بعض الأوقات عفوها)
 سياق الكلام في أن نعم الله على الإنسان قد يشوبها مفاسد من كوارث الدهر يكثر
 صفوها (وطارق يجهد عفوها) ولا شيء من معاني (جهد) يناسب هنا فلعل صوابه
 (يجهم) بالميم يقال (جهمه) ومثله (تجهمه) إذا استقبله بوجه كالح عابس .
 و (العفو) الفضل والمعروف وخيار الشيء وأجوده . فالمعنى أن آلاء الله ونعمه على عبده
 يتجهها في بعض الأوقات ويواجهها بالشر والنفيس طارق من طوارق الدهر
 ودامية من دواعيه .

وفي ص ١٢٦ س ١٣ قوله (فله الحمد الذي جعل الخ) (الذي) صفة لله
 تعالى إذ هو الذي جعل ما يتخلل النعم من المصائب عنواناً لعنايته بعبده فالصواب أن
 يقال (فالحمد لله الذي الخ) فنقع الصفة عقب الموصوف من دون فاصل : إذ لا يصح
 أن يقال (لزيد الشكر الذي أعطاني مالاً) وإنما يقال (الشكر لزيد الذي الخ)
 وليس الكلام شعراً حتى يقال أن التقديم والتأخير ضرورة شعرية .

وفي ص ١٢٨ س ١ قوله مهتماً بزواج : يلبنين والرفاء (والزمن الوهد والعزة القعساء)
 (الوهد) المنخفض من الأرض ولا يوصف به الزمان كما لا علاقة له بالتماني فهو محرف
 وصوابه (والزمن الرغد) و يوصف الزمن بالرغد كما يوصف العيش والحياة قال الشاعر :
 ('مني إن تكن حقاً تكن غاية المني والا فقد عشنا بها زمناً رغداً)

وسيفي ص ١٢٨ س ٤ قوله — (وتهملت جذلاً . وبسطت في الدعاء مذلاً)
 لا معنى (لمذل) هنا فهي في الراجح محرفة عن كلمة (بذل) . والبذل السعة في
 العطاء يقال (رجل بذل) بسكون الذال من باب الوصف بالمصدر للبالغة كما يقال
 (رجل عدل) . وهنا لا بد من أحد أمرين : إما تسكين ذال (جذلاً) لتزواج
 (بذلاً) الساكنة الذال . وإما تحريك ذال (بذلاً) لتزواج ذال (جذلاً)
 المتحركة الذال .

وفي ص ١٢٩ س ١٦ قوله — (في عسكر الجب) ضبط بفتح الجيم وصوابه كسرها : يقال : جيش كَجِب (بكسر الجيم) اي انه ذو كَجَب (بفتحها) واللاجِب اختلاط أصوات الابطال وكثرتها في ساحة الحرب . إلا ان يدعى الـ وصف الجيش بالجب المفتوحة الجيم من قبيل الوصف بالمصدر كما مر لا سيما ان السجعة قبلها (ثم طلع غير مراقب) بفتح القاف .

وفي ص ١٣٠ س ٩ قوله في تهنية بمولود (والله المسؤول ان يهنيك منه صَنَعًا يحسن في مثله الحسد) لا معنى لهذا الكلام كما ترى و (صنع) ضبط بضم فسكون . وصواب الكلام (ان يهنيك منه صَنَعًا) و (صَنَعًا) بفتحين مفعول به (ليهنيك) من الهبة (من) تجر بديهة اي انه تعالى ينجيك ابنًا صَنَعًا . يقال : فلان صَنَعَ اللسان بالتحريك اذا كان بليغًا .

وفي ص ١٣٣ س ٨ قوله — (انه يعد كل مـه) صوابه يعد كلامه اي يهيئه ويروّزه في نفسه قبل ان ينطق به .

وفي ص ١٣٣ س ٨ قول الرشيد في (عبد الملك بن صالح) مذا انه موه آماه بانه بهيء الكلام قبل إلقائه ولا يحسن الارتجال فقال (بل هو طبع) . المعهود في هذا التركيب (شاعر مطبوع) بمعنى انه يأتي بالشعر من دون تكلف . ولم يقولوا (شاعر طبع) و هرون الرشيد انما يصف الرجل بكونه بليغًا يرتجل كلامًا فصيحًا من دون استعداد و (الطبع) (بكسر الباء) ذو الطبع (بفتحها) وهو الدنس و (رجل طبريم) أيضًا بمعنى انه دنيء لثيم فلعل صواب عبارة الرشيد (بل هو صَنَع) بفتح النون يقال فلان صَنَعَ اللسان اذا كان بليغًا كما مر . وهذا ما أراده من نفي الفهاة عن الرجل وإثبات المقدرة الكلامية له .

وفي ص ١٣٣ س ١٤ قوله — (ثامة بن أبرش) صوابه (ابن أشرس) النخري كان زعيم فرقة القدريّة في زمان المأمون والمعتمد والواثق مات سنة ٢١٣ هجرية .
وفي ص ١٣٤ س ٦ —

(كان الزمان بن أبي ومن أخذت صروفه مذنبًا طوراً ومنصلاً)
قوله (منصلاً) مما أخطأ فيه الشاعر وصوابه (منصلاً) يقال — (أنصل الى

فلان من ذنبه) بمعنى تبرأ منه . وكأنه لما لم يستقم له الوزن (بمنصل) عدل الى (منصل) لكن المماجم لم تذكر المنصل بمعنى منصل .
وفي ص ١٣٤ س ٩ —

(كالسيف منصلاً والبحر مندفعاً والبدر مؤتلقاً والغيث مخفلاً)
قوله (منصلاً) في صفة السيف خطأ وصوابه (منصلتا) من (أصلت سيفه) جرته من غمده فهو مُصَلَّت ومنصلت ولا يقال : انصله فهو منصل .
وفي ص ١٤٧ س ٩ قوله (وما كل من بشر بأمر ولا كل من عار غاور) هكذا بالعينين المهملتين وهو خطأ وصوابه (ولا كل من غار غاور) بالعينين بالمعجمة تين ومعنى (غار) أنفَ وحمي عندما انتهك حرمة ومصدره الغيرة . أما (غاور) فمن الغارة على العدو يقال غاور العدو مغادرة أغار عليهم .

وفي ص ٥٤ : س ١٥ — (وصارت رؤية الدماء تُفزعهم : فلو احتاج احدهم لتقصيص دم لمرض لا أخرج من خوفه وما احتجم) قوله (أخرج) اي مال كجئح ولكن لا يناسب ان يكون هذا المعنى مراداً هنا وإنما المناسب ضده وهو التقهقر والتكوص .
فالكلمة محرفة وصوابها (لا أجم من خوفه وما احتجم) وبذلك يقع بين (أجم واحتجم) جناس الاشتقاق وهو مما يهتم كاتب الرسالة مراعاته والاستكثار منه .

وفي ص ١٦٠ س ٤ قوله في صفة معركة (والجياد من المهاجر تحنى . وبالجماجم لتنعل) (المهاجر) لها معانٍ لا تناسب هنا فهي إذن محرفة عن كلمة (الحوافر) جمع حافر والمعنى ان تلك الجياد وهي تكرر في المعركة كانت تحنى حوافرها وانفى فتستعيض عنها بمماجم القتلى .

وفي ص ١٨٤ س ٩ (كل غيث الايام ان أخف الغير - ثأطلت سمابه بانعمال)
صوابه (كان غيث الأيام الخ) وهذا البيت موضعه من القصيدة بعد الأبيات التي بعده كما يظهر بأدنى تأمل .

وفي ص ١٨٥ س ١١ قوله —

(ترى الحنوف غلوقاً في أسننه لدى الوغى وشهاب الموت قد يدعاً)
لم نجد معنى مناسباً لقوله (غلوقاً) بالمعجمة هنا . فربما كان الصواب (علوقاً)

بالهملة اي ان الختوف معلقة ومعقودة بأسنة رماحه . و (العَلوق) بالعين المهملة
المفتوحة اسم من اسماء المنية فعمل معنى (ترى الختوف علوقا في أسنته) على هذا ان
الختف والهلاك تراه موتاً مجسماً او منية مجسمة سيف أسنة رماحه . والقصيدة التي
منها هذا البيت للمثنوي يرفي بها ابا بكر الاءخشيدي محمد بن طفيح لكنها ليست موجودة
في ديوانه المخطوط الذي في مكتبتي ولا في ديوانه الذي شرحه العلامة اليازجي
فليحرص على هذه القصيدة محبوب شعر المثنوي . ومطلعها :

(هو الزمان مشيت بالذي جمعا في كل يوم نرى من صرفه بدعا)

وقد ذكر منها في نهاية الأرب واحد وعشرون بيتاً .

وفي ص ١٨٧ س ١ (خذل الرمح وهو عونك لوبا ن لقاء وثار نفع ققام)

قوله (بان) لا يناسب هنا وصوابه (حان) اي قرب ودنا .

وفي ص ١٩٤ س ١٣ (وأردت ابن زباد بالحسين فلم يبو بشسع له قد طار أو ظنر)

هذا البيت من المراثية العبدونية التي مطلعها :

(الدهر يُفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الاشباح والصور)

وقوله في البيت السابق (قد طار) ضميره راجع الى (الشسع) والشسع لا يطير

فالصواب ما في شرح ابن زبدون على القصيدة المذكورة المطبوع في ليدن — (قد طاح)

بالحاء المهملة اي سقط . وشسع النعل اذا بلي انحل وسقط . وفي نسخة لهذه القصيدة

(قد طاخ) بالحاء المعجمة ولا معنى له ايضاً .

وفي ص ١٩٦ س ٤ (وأسبت عبرات للعيون على دم رفج لآل المصطفى هدر)

صوابه (برفج) بالحاء المعجمة لا الجيم و (رفج) واد بركة كما في معجم البلدان وهو

الموضع الذي قُتل فيه أولئك الهاشميون سنة ١٦٩ هجرية .

وفي ص ١٩٩ س ٨ —

(من لي ولا من بهم ان عطلت سنن وأخفيت السن الايام والسيّر)

لعل الصواب (وأخفت) كما في النسخة المطبوعة في (ليدن) ومعناها أسكتت

من خفت الصوت سكنت . وبدل عليه كلمة (السن) .

وفي ص ٢٠٣ س ١٤ (عاق الزمان شقيق الجود لم يقر أهل ولم ينفد مال ولا ولد)

لا معنى (لعاقب) هنا وصوابه (غال) أي اغتاله الزمان وأخذه على غرة .
 وفي صفحة ٢٠٤ سطر ٦ قوله — (هو الخطب الذي ابتدع الرزايا) ابتدع
 بمعنى اخترع ولا معنى لكون مصيبة هذا الفقيه اخترعت المصائب وإنما مصيبته
 ابتدأت المصائب وكانت فاتحتها اذ كل المصائب التي تقدمتها ليست شيئاً بالنسبة
 إليها . (فابتدع) محرف عن (ابتدأ) .

وفي صفحة ٢٠٥ سطر ١٤ قول أبي تمام :

(وأصيحت الوفود اليك وفقاً على ان لا مفاد لمسنفيد)

(وفقاً) كذا بقاف ففاء لكن الذي في ديوان أبي تمام (وفقاً) بتقديم الفاء وهي
 أنسب معنى من (وفقاً) قال صاحب التاج في استدراكاته على القاموس (جاء
 القوم وفقاً) أي متوافقين . والمعنى ان الوفود أصبوا في مجيئهم اليه متوافقين لكنهم
 لم يسنفدوا شيئاً لانهم وجدوه قد مات . والقصيدة مرثية في (عمير بن الوليد) .
 وفي صفحة ٢٠٦ سطر ٢ قوله — (وانثغر انثغر) (الثغر) هنا بمعنى البلد على حدود
 العدو . ولا يوجد في اللغة فعل (انثغر) كما قال المصحح الفاضل . فهو إذن محرف عن
 (انغر) بناءً مثلثة مشددة وأصله (انغر) من الانفعال . ومعنى (الانغار) ان
 ياتي الصبي ثغره أي أسنانه . فالشاعر يقول ان الثغر الذي كان يحميه الفقيه قد
 انغر وهو كناية عن فقد جماله أو قوته أو أسباب منعته التي كانت متوفرة في زمن
 الفقيه بحيث ما عاد ينفع بذلك البلد كما لا ينفع بالثغر بعد سقوط أسنانه .

وفي صفحة ٢٠٦ سطر ٦ —

(وما مات حتى مات مضرب سيفه من السلّ واعملت عليه القنا السمر)

قوله (من السلّ) أي ان الفقيه لم يمت حتى مات سيفه من كثرة سله له من
 الغمد في المعركة . ولكن الشاعر إنما يصف صبر الفقيه وحسن بلائه في تلك المعركة
 التي قتل فيها فهو لم يسل سيفه فيها الا سلة واحدة بالطبع . ولا معنى لوصفه بأنه
 كان يسل سيفه في المعركة ثم يغمده ثم يسله دوايك . فسكينة (السلّ) مصحفة عن
 (الشلّ) بالشين المعجمة وهي مصدر شأ بهم سيفه اذا طردهم بين يديه طرداً ومثله كسأهم
 وكسهم أي انه لم يمت حتى مات سيفه وانكسر من شدة ما شلّ أعداء به . ويؤيد

هذه الرواية الرواية الاخرى في البيت وهي (حتى مات مضرب سيفه من الضرب الخ) .
وفي صفحة ٢١٤ سطر ١ قوله — (وجز في اللحم بل براه) صوابه (وجز) بالخاء
المهملة اي قطع أما (الجز) بالجيم فيستعمل في قطع الصوف والشعر والحشيش
وثمر الخيل لا اللحم .

وفي صفحة ٢٢٠ سطر ١٤ —

(فأنكحها الصريح بغير مهر) وجه زنا الفتاة بغير شوره
صوابه (فأنكحنا) بضمير المتكلمين اي زوجنا فتاننا للصريح . ليتزوج مع قوله
بعده (وجه زنا) . ومعنى (شوره) خجلة .

وفي صفحة ٢٢٣ سطر ٣٠ قوله — (وان زهدوا في الأجر اذ جمش الوغى) الخ .
الجمش معنى لا تناسب إرادته هنا . وإنما صوابه (حمش) بالخاء المهملة وهو (بالتخفيف
والتشديد) بمعنى اشتداد الامر واضطراب النار . ويحتمل ان تكون (جمش)
محرقة عن (حمي) إذ يقال حمي الوطيس . و (الوطيس) الوغى .

وفي صفحة ٢٢٧ سطر ١٣ قوله — (مكره لي وبك سحيق) صوابه سحيق .
وفي صفحة ٢٢٨ سطر ٣ قوله — (وما لأد لها فالى هذه الغاية) صوابه (الى
هذه الغاية) بدون (فاء) إذ لا داعي لها هنا .

وفي صفحة ٢٥٠ سطر ١ قوله — (وهي بين أهلها دُول وسحال) بالخاء المهملة
خطأ وصوابه (سجال) بالجيم أي مرة تكون لهذا ومرة لذلك . المفرج

زيارة مخطوط قديم

دعني بعض فضلاء دمشق على كتاب خطي قديم في فن الجراحة ، موجود عند مالكة (خورشيد افندي الجركسي) من متقاضي المالية ، زرنا الرجل سيده داره في الدرويشية أمام جامع (سبائي) واطلعنا على الكتاب ، فإذا هو مجلد متوسط الحجم مخروم الاول والاخر ، ومكتوب اسمه على ضمانة رؤوس اوراقه هكذا :

« الحاوي في الجراحة » كما رقم على ظهره : انه من كتب (الطبيب عبد القادر عوده) الدمشقي الذي كان حياً سنة (١٢٧٩) للهجرة . ثم ملك الكتاب ورثته من بعده . وقد فهمت من الفاضل الدمشقي الذي كان معي في زيارة هذا المخطوط كما حدثني غيره ايضاً — انه بعد موت الطبيب عوده المذكور كانت كتبه الطبية تباع اكداً في أسواق دمشق بثمن بخس دراهم معدودة .

تصفحت الكتاب فإذا هو مبوَّب بحسب أعضاء الجسم وما يطرأ عليها من العلل التي تقضي العمليات الجراحية : كالعين والحجرة وأعضاء التناسل في الرجال والنساء الخ . والمؤلف يبيِّن فصول كتابه غالباً على النظريات الطبية المنسوبة الى من تقدمه من الاطباء : فهو يقول مثلاً (القول او الكلام على رأي الطبيب فلان في عملية العضو الفلاني) .

وخط الكتاب قديم ويلتزم كاتبه في كتابة بعض حروفه شكلاً خاصاً مثل الهاء واللام الف .

ومن غريب امر هذا الكتاب ان حرف الدال لا يذكر فيه الا منقطاً اي ذالاً معجمة . فما أدري ان كان المؤلف او الناسخ من بعض البلاد التي ينطق اهلها الدال ذالاً دائماً او انه من أمة السريان او العبرانيين او غيرهم ان كانوا ينطقون الدال ذالاً .

ومن مميزات هذا الكتاب انه يرسم صور آلات الجراحة المختلفة ، بالخبر الأسود او الأحمر . لكن الرسم غير متقن ولا محكم الوضع . كما ان خط الكتاب كذلك . فالكتاب بصور عدة صور من أشكال السكاكين والمباضع والمشارط والمحاقن وغير

ذلك ويخص كل عملية بآلة من هذه الآلات الجراحية . ومن لطيف ما رأيت فيه صورة محقنة على هيئة الحافن الزجاجية المعروفة اليوم - في الصيدليات وهي بحجم اصبع اليد . ونسبها نحن محقنة او حقنة او طلمية اما المؤلف فيسميها (زرافة) . وعلى أطراف صفحات الكتاب هوامش بخط (الطبيب الياس البيروني) وبعض هذه الهوامش يقول — تعليقاً على إحدى العمليات الجراحية — انه هو (اي الياس البيروني) عمل هذه العملية سنة ١٠٧٠ وسبعين وثمانمائة . فقد دللنا هذه الهامشة على الزمن الذي كان يعيش فيه الطبيب الياس المذكور . كما دللنا على ان مؤلف كتاب (حاوي الجراحة) الذي نحن في صدد الكلام عليه كان قبل ذلك التاريخ .

وعلى حاشية الكتاب ايضاً هامشة تعلن وفاة (ميخائيل بن جرجس الطبيب) فمن هذه الهوامش يظهر ان الكتاب ملكه أطباء سوريون نصارى ولكن من الذي آتاه من الأطباء ؟ ؟ .

غادرت بيت الرجل صاحب الكتاب شاكرًا لطفه وحفاوته وانقلبت الى دار المجمع العلمي (فراجعت فهرست ابن النديم فوجدته يقول : ان لابي بكر الرازي الطبيب المشهور والمتوفى سنة (٣١١) للعجرة كتاباً في الطب اسمه (الحاوي) ويسمى ايضاً (الجامع الحاضر لصناعة الطب) وهو يقسم الى اثني عشر قسمًا . والقسم الثالث منه في (الرئة والجذير والجراحات) ويريد من (الرئة) رثاب الصدع والثأ في الرجل .

والرثاب هو الذي يرأب الاعضاء الموثوءة . فهل كتاب (الحاوي في الجراحة) الذي زرناه هو القسم الثالث من الكتاب حاوي الرازي في الطب ؟ ؟ . هذا ما قاله صاحب الفهرست ، اما صاحب كشف الظنون فقد ذكر كتابين طببيين باسم (الحاوي) : احدهما (الحاوي في علم التداوي) للفهم الدين محمود بن الشيخ (صائن الدين الياس) الشيرازي . قال وهو مجلد واحد مرتب على خمس مقالات . وكلها تدور حول العلل والحميات والأدوية . ولم يذكر ان بينهما قسمًا يتعلق بالجراحة فليس له علاقة إذن بالمخطوط الذي زرناه وقلنا ان اسمه (الحاوي في الجراحة) .

والكتاب الثاني الذي ذكره صاحب كشف الظنون هو (الحاوي في الطب)
 لابي بكر الرازي وقد نقلنا آنفاً ما قاله صاحب الفهرست فيه . وزاد صاحب كشف
 الظنون ان (رشيد الدين أباسعيد بن يعقوب المسيحي القديسي) المتوفى سنة ٦٤٦
 للهجرة علق على (حاوي الرازي) تعاليق وقد اختصره (الدخوار) وهو مذهب الدين
 عبد النعم الذي أنشأ مدرسة الطب الدخوارية في دمشق سنة ٦٢١ . وهل مخطوطنا
 الذي زرناه ووصفناه هو تعاليق الطبيب رشيد الدين المسيحي القديسي التي قال
 صاحب كشف الظنون انه علقها على (حاوي الرازي) ؟ لكننا ذكرنا آنفاً ان اسم
 المخطوط مرقوم عليه هكذا : (الحاوي في الجراحة) .

بقي علينا ان ننظر ما يقوله ابن أبي أصيبعة في كتابه (طبقات الاطباء) قال :
 ان كتاب (الحاوي) هو اجل كتب (ابي بكر الرازي) وأعظمها في صناعة
 الطب وذلك لانه جمع فيه كل ما وجده متفرقاً في ذكر الامراض ومداواتها من
 سائر الكتب الطبية للتقدمين ومن اتى بعدهم الى زمانه . ونسب كل شيء نقله فيه
 الى قائله . وتوفي (الرازي) ولم يفسح له في الأجل كي يحجر هذا الكتاب .

ومما استفدناه من محاضرة رصيفنا الدكتور اسعد الحكيم التي ألقاها منذ حين
 في ردة المجمع ان (حاوي الرازي) امتدت شهرته الى اوربا . وان (شارل) ملك
 سيسيليا (صقليه) ارسل وفداً الى ملك تونس يطلب منه كتاب (الحاوي)
 المذكور وذلك في القرن الثالث عشر للميلاد اي بعد وفاة مؤلفه الرازي بنحو اربعمائة
 سنة . وذكر الدكتور اسعد افندي ايضاً كتاباً في الطب اسمه (التصريف) لمؤلفه
 الطبيب ابي القاسم الزهراوي الاندلسي ويظهر من وصف الدكتور لكتاب
 (التصريف) وما هو مصور فيه من رسوم الآلات الجراحية ان مخطوطنا (الحاوي
 في الجراحة) هو القسم الجراحي من كتاب (التصريف) للزهراوي وان بعض من
 علق بهذه الكتاب ظنه (حاوي الرازي) فكتب عليه انه (الحاوي في الجراحة) .
 وان لم يكن من كتاب التصريف فيكون قسم الجراحة من كتاب (حاوي الرازي)
 او لا ولا فهو (تعليقات) رشيد الدين القديسي على القسم الجراحي من كتاب
 حاوي الرازي .

وعلى كل حال لا بد لجمعية العلمي ان يكلف احد اطباءنا المدققين زيارة هذا المخطوط مرة ثانية فينظراي انكتب الثلاثة هو ؛ أو انه كتاب آخر غير ما ذكرته وارتابته .

المعرجي

اخبار وافكار

زقاق الاربعين

طالعت في مجلة الجمع العلمي ما كتب في زقاق الاربعين في حلب ونسبته الى أربعين عيسلة أتى بها الى حلب بأمر السلطان مراد الى غير ذلك من الآراء . وانا أرى ان فريقاً من يروي هذه القصة في حلب يسند هذا الامر الى السلطان سليم الاول الذي دخل حلب صلحاً بعد موقعة مرج دابق المشهورة سنة ١٥١٦ و فريق آخر يسنده الى السلطان مراد الرابع الذي دخل حلب سنة ١٦٣٩ بطريقه الى العراق لأخذ بغداد من شاه العجم . ومع ما في هذا الاختلاف من الدلالة على سخافة هذه القصة لا يوجد سند تاريخي يصح الاعتماد عليه باستناد هذا الامر الى احدهما . بل ان التاريخ الصحيح ينقضها :

فان ما كتبه عبد الله دلال سنة ١٨٣٨ في أصل تاريخ أسرته مسنداً هذا الأمر الى السلطان مراد لا يصح الاعتماد عليه لبعدها هذا الكاتب عن زمان دخول السلطان المذكور الى حلب وما هو بالحقيقة الا ناقل لهذه الحكاية التي كانت شائعة في حلب على عهده وما على الناقل لها سبيل لتحقيقها .

فقد قال الشماس بولس الحلبي الذي كان مع والده مكار يوس مطران حلب في مقدمة النصارى الذين خرجوا لاستقبال السلطان في صفحة ٤٤ كتابه في سفرة والده المذكور الذي طبعنا منه نسخة :

« وفي السنة الرابعة من رياسته التي هي سنة ١٤٧٧ للعالم (١٦٣٩ مسيحية) وافى السلطان مراد مجيشاً من القسطنطينية الى حلب ودخلها يوم الخميس ١٢ تموز

وعلى كل حال لا بد لجمعية العلمي ان يكلف احد اطباءنا المدققين زيارة
هذا المخطوط مرة ثانية فينظراي انكتب الثلاثة هو ؛ أو انه كتاب آخر غير
ما ذكرته وارتابته .
المعرجي

اخبار وافكار

زقاق الاربعين

طالعت في مجلة الجمع العلمي ما كتب في زقاق الاربعين في حلب ونسبته الى
أربعين عيسلة أتت بها الى حلب بأمر السلطان مراد الى غير ذلك من الآراء . وانا
أرى ان فريقاً من يروي هذه القصة في حلب يسند هذا الامر الى السلطان سليم الاول
الذي دخل حلب صلحاً بعد موقعة مرج دابق المشهورة سنة ١٥١٦ و فريق آخر
يسنده الى السلطان مراد الرابع الذي دخل حلب سنة ١٦٣٩ بطريقه الى العراق
لأخذ بغداد من شاه العجم . ومع ما في هذا الاختلاف من الدلالة على سخافة هذه
القصة لا يوجد سند تاريخي يصح الاعتماد عليه باستناد هذا الامر الى احدهما . بل
ان التاريخ الصحيح ينقضها .

فان ما كتبه عبد الله دلال سنة ١٨٣٨ في أصل تاريخ أسرته مسنداً هذا
الأمر الى السلطان مراد لا يصح الاعتماد عليه لبعدها هذا الكاتب عن زمان دخول
السلطان المذكور الى حلب وما هو بالحقيقة الا ناقل لهذه الحكاية التي كانت شائعة
في حلب على عهده وما على الناقل لها سبيل لتحقيقها .

فقد قال الشماس بولس الحلبي الذي كان مع والده مكار يوس مطران حلب في
مقدمة النصارى الذين خرجوا لاستقبال السلطان في صفحة ٤٤ كتابه في سفرة
والده المذكور الذي طبعنا منه نسخة :

« وفي السنة الرابعة من رياسته التي هي سنة ١٤٧٧ للعالم (١٦٣٩ مسيحية)
وافى السلطان مراد بجيشاً من القسطنطينية الى حلب ودخلها يوم الخميس ١٢ تموز

راغباً سيفه الذهب الى مدينة بغداد لكي يحوزها وخرجت جميع طوائف النصارى النقبوه باصناف أثواب القماش الثمين ناشرين ذلك على حافة الطريق ومعهم الأب السيد المطران والكهنة وبقية المسيحيين مع أرباب الحرف والصنائع ممتدين من خان طومان الى نفس ساحة الميدان وكان يوماً مشهوداً بعدث من الاعمار ويُذكر في الأجيال الآتية مدى الازدهار وكانت السلطنة الافرنجية امرأته قد تقدمته بايام ثلاث معها يلوذ بها في القوجيات اي العربانات وأقام في حلب ستة عشر يوماً وما كانت الا كأنها رؤيا في المنام لان بقدمه قدم الخير الوفي وأخصب فيها كل شيء وصار طالع سعودها بوجوده ولم يعوزها شيء مع كثرة من صحبه من العساكر المشابية بكثرتها القطر القاطر . . . » .

ثم في كلام الشمس المذكور فيما تقدم من كتابه المشار اليه عن المطارنة الذين جلسوا في حلب قبل والده ما يكفي للدلالة على وجود كثرة المسيحيين فيها من قبل وعلى عدم صحة هذه الحكاية باسناد هذا الأمر الى السلطان سليم .

ثم ان العقل السليم لايسلم ان السلطان المذكور الداخل صلحاً الى حلب — بأول الفتح العثماني للشام — يكلف أهلها المسلمين بأن يأثروا بعدد من النصارى الغرباء لينازعهم فيها أسباب الرزق .

ومن المقرر تاريخياً ان هذا السلطان كان أشد سلاطين آل عثمان تعصباً للاسلام ليستبد بأسره فيه منفرداً بدون منازع بل قد تجاوز نهذا ما جبل عليه الطبع الانساني من الحب وحفظ حياة أهله وذويه الأقربين . ومعلوم ان هذا السلطان اغتال اعمامه واخوته وأولادهم جميعاً خشية ان يكون له منهم منازع او مزاحم على الملك . وكذلك — على ما يقال — دس السم لابيه السلطان بهازيد لانه كان يريد ان يعهد بالملك بعده لولده البكر أحمد شقيق سليم . وقد أوقع باربعين الفاً من أهل مملكته اغتيالاً ولم يكن لهم ذنب سوى كونهم من الشيعة . وما أشهر الحرب على الشاه اسماعيل الكبير الا لكون هذا أعلن نفسه انه حامي الشيعة دون السنة في الاسلام .

وكان في عزم هذا السلطان ان يبني من بلاد الروم كل المسيحيين لكن منعه بحكمته وزيره الذي أوعز الى بطريك الروم القسطنطيني — بالانفاق مع شيخ

الاسلام — ان يحجج بعهد النبي العربي ومساعدة الإمام عمر وبراءة السلطان محمد الفاتح التي استشهد على صحتها بعض شيوخ الانكشارية الذين كانوا أحياء من ايام الفتح . والغاية كان السلطان سليم أبعد الناس طبعاً عن مثل هذا الامر . واذا صح بعدما تقدم بهانه انه لا يجوز ان نسلم بصحة هذه القصة وجب ان نبين سبب هذه التسمية فنقول :

بعد ان استولى السلطان سليم على مصر والشام والعراق وكل بلاد العرب والروم أخذ بعض حكومات اوربا يعقدون معه ومع خلفائه معاهدات تجارية وكانت حلب حينئذ الطريق الوحيد من البحر الى العراق وارمينية وبلاد النجف والهند وسائر الجهات الشرقية فيجود حينئذ عمرائها بعد خرابها بجيوش تيمورلنك سنة ١٤٠٠ وصارت ذات تجارة واسعة لا تضاهيها مدينة في الشرق اذ أقبل عليها تجار الافرنج على اختلاف بلدانهم وممالكهم واتخذوا لهم فيها عمالاً من النصارى الشرقيين يعقدون عليهم في تصرف بضاعتهم في حلب وسائر الجهات الشرقية وكثروا فيها جداً وكلهم يميلون الى التجارة والصناعة من الشام والعراق وارمينية وغيرها وتألقت منهم طوائف كبيرة ذات شأن بعدد رجالها وغناها من الروم والأرمن والسريان والموارنة والكلدان ولكل طائفة مطران وكنيسة وكنيسة متمسكين حتى صار بعض بطاركة الروم والأرمن والسيريات يؤثرون الإقامة فيها في القرن السابع عشر على دمشق وسواها وكان عدد الروم فيها يوازي عدد الذين هم في سائر البطركية الانطاكية في جميع مدن الشام والعراق .

ومعلوم ان المهاجرين اذا كثروا في مدينة اتخذوا لهم فيها بيوتاً في المحلة الخالية من السكان او الخراب حيث لا يجدون مزاحمة وبناء على هذا اتخذ المهاجرون الى حلب محلة زقاق الاربعين التي كانت خراباً وعمروها وسكنوا فيها ومن هنا تولدت قصة الاربعين عيلة .

وهذا الامم قديم قبل السلطان سليم وهو منسوب لكنيسة قديمة كانت عامرة هناك على اسم الاربعين شبيداً الذين قتلوا جميعهم صبراً في مدينة سبسطية سنة ٣٢٠ وكذلك كان لهم اولى اسمهم كنائس في بيروت وحمص وجوار دمشق قد استولى

عليها الخراب وزالت رسومها ولم يبق لها الا اسمها ملازمًا لهذه الحلات مراعاة لحق
الحوار ودليلاً على سابق عمراتها ولم يبق مقامها كنيسة جديدة الا في مدينة حمص
فانما تجددت سيف محل الكنيسة القديمة الكنيسة الكاثدرائية الحالية المزوم وهي
مشهورة بسعتها وجمالها . ومن يعلم عظم الأكرام الذي حازه هؤلاء القديسون سيف
الشرق عند جميع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم وطقوسهم ورغبة الشرقيين في إقامة
الكنائس الكثيرة على أسماء القديسين لا يتردد في هذا الحكم . وفوق كل ذي علم عليم .
الخوري قسطنطين الباشا

==(<*>)==

أرجوزة الضاد والطاء

كان السيد عبد الله مخلص نشر في مجلة المجمع (جزء ٤ ص ١٦١) أرجوزة
في الضاد والطاء وقال انه لم يعلم اسم ناظمها ومن نظمت برسمه الذي يظهر انه كان
من وزراء زمانه . ثم نشر في المجلة في هذا الجزء (ص ٥٤) ان صديقه العلامة
احمد باشا تيمور كتب اليه ان اسم الناظم الشيخ محمد الخورجي .

وقد ظفرت في بحثي في الخزائن عن البقية الباقية من نفائس المخطوطات في حاب
بمجموع في خزانة المكتب في التكية الاخلاصية هي التي من ولف الشيخ اسحق النجاشي
فيه عدة رسائل . من جملتها أرجوزة تشتمل على الطاء والضاد قال في اولها انها
نظمت في عون الدين بن هبيرة الوزير في بغداد واول الأرجوزة .

الحمد لله العظيم الواحد	ذي المن والافضل والحامد
أرسل غينا أفضل الخلائق	مجدداً أكرم به من صادق
على عليه ربنا ومجدا	في كل وقت دائماً وجددا
فكل ما ينظم للائفاده	فذاك منسوب الى العباد
لا سيما في مدح عون الدين	منجل كل عارض هتوف
من حكم الآمال في الأموال	تحكم الآجال في الرجال

هذا ما نقلته وقتئذ من الأرجوزة وأظن ان بعد هذا البيت هو قوله وقد نظمت
عدة من الحكم الخ فقد علم من نظمت برسمه وما فيها من الزيادات • عضو المجمع العلمي
محمد راغب الطباخ

— «××» —

استدراكات على محاضرة

في محاضرتكم^(١) التي نشرت وها في الجزء الاول من هذه السنة وكنتم أقيمونها في
المدرسة المارونية بحلب وذكرتم فيها مدرسة ضيفة خاتون — قلتم ان ضيفة ولدتها أمها
في غير دار أبيها حيث كانت أمها ضيفة فسمها أبوها ضيفة • هذا ليس بصواب
والصواب ما ذكرناه في تاريخنا (اعلام النبلاء) نقلاً عن أبي الفدا من انها لما ولدت
كان عند أبيها الملك العادل ضيف فسمها ضيفة • وأبو الفدا يروي وهو أدري بأهل بيته •
وقلتم في الصفحة التاسعة ومن مدارس حلب النورية والعصرونية الخ ثم ذكرتم
الشهبية ثم الصهبية وقلتم ان هذه كانت وراء باب انطاكية مباشرة قامت على انقاض
أقدم جامع في حلب بناء أبو عبيدة • والحال ليس في الشهباء مدرسة يقال لها
الصهبية والمدرسة الواقعة في هذا المكان ولم تزل باقية الى الآن من عهد نور الدين
الشهيد هي الشهبية نسبة الى الشيخ شعيب الاندلسي المتوفى سنة ٥٩٦ وقد كان اول
مدرس بها لما حملها نور الدين الشهيد مدرسة وقد كانت قبل ذلك مسجداً يسمى
مسجد الغضائري وهو اول مسجد بني في حلب بعد الفتح كما ذكرتم •

وقلتم بعد أسطر ان فيها دار القرآن الحبشية بالباء الموحدة والصواب الحبشية
بكسر الحاء وبالياء المثناة نسبة الى قرية تبعد ساعة ونصفاً عن المعرة يقال لها حبش
وهي عامرة الى الآن وقد جاء ذكرها في تاريخي في الجزء الخامس في ترجمة أبي بكر
الحبشي وقد ذكرنا انه ولد بقرية حبش من عمل حماة بالقرب من المعرة • ولم أجد في
معجم البلدان ذكراً لهذه القرية ولعلها لم تكن في زمنه •

وقلتم بعد العبارة المتقدمة : ذكر الرحالة ابن جبير في المئة السادسة انه كان يتصل

(١) الخطاب للاستاذ رئيس المجمع •

من الجانب من جامع حلب مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسناً والقان صنعة الخ .
فالتعبير بكان يفيد ان لا أثر للمدرسة في زمنه وعبارة ابن جبير هكذا : ويتصل به (اي
بالجامع) بالجانب الغربي مدرسة للحنفية الخ وهذه المدرسة لا تزال عامرة الى الآن
وهي المسماة بالخلوية وقد ذكرتوها فيما ذكرتوه من المدارس في حلب في هذه الصفحة
وقد تكملت عليها في غير موضع من تاريخي وأثبت صورة محرابها العظيم في الجزء
الرابع منه (ص ٥٠١) .

ويجدر ان نذكر هنا ما نشرته مجلة الزهراء المصرية في الجزء الثامن من سنتها
الثانية حيث قالت : كتب الاستاذ احمد زكي باشا مقالة في الشورى عن محراب
المسجد الأثري البديع الذي شيده في قلعة حلب نور الدين الشهيد في سنة ٥٦٣ هـ
ثم أتمه وأكمله ابنه ابو الفتح اسماعيل عام ٥٧٥ فقد رأى الباشا (اي في سياحته الى
حلب في صيف العام الماضي وقد كنت معه حينما زار القلعة) ان محراب المسجد
منزع من مكانه وتحقق انه كان موجوداً في سنة ١٩٢٢ م وقد صور بالنصير
الشمسي في تلك السنة وتدل صورته على انه من الخشب النفيس وان النقوش التي
عليه انتمت عندها براعة المئتمن العربي فوصل في صناعته الى حد الإعجاز .

قال الاستاذ زكي باشا : اني رأيت كثيراً من المحاريب في بلاد مختلفة فلم أر
مثل هذا المحراب الخشبي المفقود في حلب سوى محراب خشبي آخر في نفس حلب
وهو محراب المدرسة الخلاوية . ثم قال : وأجل محراب على وجه الارض هو الباقي
في أطلال مسجد قرطبة بأرض الفردوس الاسلامي المفقود وهو من الفسيفساء وقد
وصفته في (السفر الى المؤتمر) وبعده محراب المسجد الأقصى وهو من الرخام البديع
الصنعة وبعدهما محراب الخلاوية بحلب وهو من الخشب انتهى . عضو المجمع العلمي
محمد راغب الطباخ

اثر تاريخي

لا يخفى ان المشهور في قبر ابي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الصحابي الجليل والفتاح العظيم (هلك في طاعون عمواس . وعمواس ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة وقيل أربعة مما يلي بيت المقدس) أنه في غور الأردن وان السيف الأثري المحفوظ في دار الآثار العربية بدمشق والمنسوب الى ابي عبيدة كان عثر عليه في ذلك القبر في القرن الماضي وقد زار القبر أخيراً بعض فضلاء الناصرة الاستاذ القس أمد منصور ووقف على كتابة منحورة في حجر على الضريح فنسخ الينا صورتها وهي كما يلي: « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه القبة المباركة على ضريح الأمير ابي عبيدة (ابن) الجراح رضي الله عنه — مولانا السلطان الأعظم سيد ملوك العرب والعجم ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابو الفتح بهرس بن عبد الله قسيم أمير المؤمنين خلد الله ملكه ابتغاء مرضاة الله ورسوله . مما وقف عليه وحبسه من نصف مناصف دير معلّ تونين من حصن من عمل حصن الاكراد المحروس تحيية مؤبداً أثاب الله وقفه بمجوده وكرمه يوم يميزي الله المتصدقين أجر المحسنين . وينظر الأمير الأجل الأعز الكبير نسله (كذا) ناصر الدين الجنتكي الظاهري السعدي نائب ممكة غلجون المحروسة . في شهر ذي الحجة سنة ست مئة وخمسون وسبع » اه .

(المجمع) وقد جاء في (دائرة المعارف العربية) (وقبر ابي عبيدة بغور بيسان عند قرية تسعي عُميا ^(١) وعلى قبره أشياء تشير الى جلالة قدره اه .

(١) وقوله (عُميا) بالياء غلط وصوابه (عُمنا) بالتاء .

مطبوعات حديثة

ديوان ذي الرمة

طبع في مطبعة (كبريدج) الانكليزية انكليزية على نفقة مدرستها بعد ان
عني بتصحيحه وشرحه بالانكليزية والعربية معاً المستشرق كارليل هنري
ميس مكارثي وهو يقع في ستائة وخمسة وسبعين صفحة كبيرة
(من هو ذي الرمة ؟) : جيد الطبعة واسع الشئرة وصافاً كالجاهلية للمديار
والابل والليل والوحش ، هو شاعر بدوي اسلامي متقدم ، نشأ في البادية على اثر
الخضرمين معاصراً للفرزدق وجرير والراعي مرافقاً للباحوص وكثير غزوة وابن مروان
وابن ابي عتيق وانصيب وغيرهم من كبار شعراء المدر فكان مثلهم حجة في اللغة ولكنه
كان يخالفهم بكثرة استعمال الغريب والحوشي من الألفاظ ولم يكن ذلك يعيبه في زمانه
وانما حطه عن درجة الفحول عدم خبرته في أساليب المديح والهجاء ، وفساد ذوقه في
انتقاء المناسبات واختيار ما يليق وما لا يليق من الكلام فيها .
قيل دخل يوماً على عبد الملك الخليفة الأموي فاستنشدته فأنشده مطولته البائية
المثبتة في اول ديوانه (ص ١-٣٥) وهي زهاء مئة وثلاثين بيتاً يقول في مطلعها :
ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرقة سررب
وكان عبد الملك أشترا الجفن لا يرقأ دمع عينه فتوهم انه يعرض به ، فغضب
حتى كاد يخرج عن حلمه وقال له : مالك ولي يا ابن الفاعلة وأمر به فطرد من حضرته
مدحوراً مقهوراً ، وحرّم من الجائزة التي كان يمني نفسه بقبيلها ، وكان له ناقة اسمها
(صيدح) كثيراً ما يذكروها في شعره وينافسها الحديث والسمير أثناء سيره وسراه .
قيل قصيد يوماً الأمير بلال بن أبي بردة الأشعري مادحاً ومستمحاً فأنشده قصيدة
تخلص الى المديح فيها بقوله :

سمعتُ الناس يُتجمعون غيثاً فقلتُ لصيدح أنجمي بلالا

فقال بلال ما دام المتجمع غيثي زافتك لا انت فأعطوه حبلاً بقود به صيدح .
وقيل قال له : « ارم بُتجمني غير صيدح يا غلام اعطه حبلاً لصيدح » فنجل

ذوالرمة وخرج خائباً محروماً من رضى الأمير وجأزته . وفي ذلك ما يكفى للدلالة على سوء اختياره للمعاني وفساد ذوقه في مقابلات ذري الأخطار من يرحى سيدهم ويحشى بأسهم . (ما هو اسمه ؟) : اسم ذى الرمة غيلان بن عقبة الندي . لقب ذا الرمة لانه دخل خباء معشوقته عرضاً وكان لا يعرفها ، فلما استحسنها استسقاماً فأبى ازدراء ، فقالت له أمها اسقيه يامى فنهض وأثله بماء وكان على كنفه رمة اى حبلاً بالياً . فقالت له اشرب ياذا الرمة ، فلزمه القب واشتهر به دون اسمه . وهو من مشاعير عشاق شعراء العرب ، ومعشوقته التي اشتهر بها مية بنت مقاتل بن كبة جد هاقس ابن عاصم المنقري احد سادة العرب وأجوادها ، شبيب بها ردحاً من الدهر وله معها مواقف غرامية تم عن وجد مقرون بالعفاف ، فاضت بذكرها اسفار اصحاب السير والمؤرخين ثم طردته وسبته مرة بابعاز زوجها عاصم ، وقد كان تزل به ضيقاً على رجاء ان يلتقي بها فأحس به المزور وأنزله في فناء الخباء لا داخله وبعث اليه بزاد وهو هناك غيرة منه على امرأته ، فلما جن الليل وغفت العين اخذ ذوالرمة بتغنى اسمها فاعلاناً :
أراجعة يامى أياها الألى بلى الاثر ام لا ما هن رجوع
فغضب زوجها وأمرها ان تحبسه وتسته منهداً إياها بالقتل ان لم تفعل فصعدت
بأمره على رغم منها فذهب غيلان ساخطاً عليها ثم ما برح ان هجا زوجها وتغنى له
الموت بآياتها منها (ص ٦٧) .

ألا ليت شعري هل يموتن عاصمٌ ولم تشعبيني للنسب يا شعوبها
دعا الله من حشف المنية عاصمًا بقاضية يدعى لها فيحبها
ثم هجامة ايضاً فقال : (ص ٦٧٥) .
الا حبذا اهل الملا غير انه اذا ذكرت مى فلا حبذا هيا
على وجه مى مسحة من ملاحه وتحت الثياب الخزي لو كان باديا
ألم ترائب الماء يخبث طعمه وان كان لون الماء أبيض صافيا
اذا ما أتاه وارد من ضرورة نولى باضعاف الذي كان ظاميا
وقيل انها ليست له وانما وضعت عن لسانه . ثم علق بأمرأة غيرها اسمها خرقاء العامرية
وشبب بها في جملة قصايد تاركاً ذكر مى وحبيها ، ومن جملة ما قال في خرقاء :

تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام
فكأنه جعل الوقوف على محبوبته منسكاً من مناسك الحج وفي كل ذلك ما يدل
على حمق به وهو ج في خدقه . مات في طريقه الى الشام وهو قاصد هشام الأموي
بأنفجار دمل سنة (١١٧) لهجرة وله من العمر أربعون سنة على أصح الأقوال ودفن
بجزوى انبي كان يكثر من ذكرها في شعره . قيل ولما أدركته الوفاة قال :

يارب قد اشرفت نفسي وقد علمت علماً يقيناً لقد أحصيت آثاري
ياخرج الروح من جسمي اذا احتضرت وفارج الكرب زحزحي عن النار
ومن مختارات شعره في محي قوله (ص ٦٦ - ٦٧) :

اذا هبت الارواح من كل جانب به اهل محي حاج قاي هوبها
هوى تذر العيان منه وانما هوى كل نفس حيث حل حبيبها
لناسبت بالهجران ميتاً ولاني اليها لحنان القرون طروبها^(١)
وقوله (ص ٢١٢ - ٢١٣) :

ألا يا اسلي يا دار محي على البلى ولا زال مجرعاتك القطر
لها بشر مثل الحرير ومنطق رخم الحواشي لا هراء ولا نزر
وعينان قال الله كونا فكنا فعولان في الابواب ما نفعل انخر
وتبسم لمح البرق عن متوضح كنور الأفاحي شاف^(٢) الوانها القطر
ومن حسناته قوله (ص ٦٧٥) :

جزى الله البراقع من ثياب عن الفتيان شراً ما يقينا
يوارين الملاح فلا تراها ويخفين القباس فيزدهينا

وأجل ما جاء في وصف (النعسان) قوله (صفحة ١٣٠) :

سقاء الكرى كأس النعاس ورأسها لوين انكرى من آخر الليل ساجد
(بما اذا امتاز شعر ذي الرمة ؟) : ومن غريب معانيه قوله في وصف الحرباء
(صفحة ٣٧) ولم يسبق لغيره ان يعني بوصف هذه الدوابة :

(١) القرون والقرونه النفس . (٢) شاف اي جلي .

كم دون مئة من خرق ومن علم كأنه لامع عربان مصلوب^(١)
ومن ملعة غبراء مطلعة تراها بالشعاف الغبر معصوب^(٢)
كان حرباء ما في كل هاجرة ذوشية من رجال الهند مصلوب^(٣)
ويقول أيضاً في الحرباء (صفحة ٨٧) :

إذا جعل الحرباء مما أصابه من الحر يلوي رأسه ويرنج
ونشوان من طول النعاس كأنه بجبلين من مشطونة يترجع^(٤)
وهو معنى قلما يخطر على خيال شاعر . وقال أيضاً :

أطرت الكرى عنه وقد مال رأسه كما مال رشاف الفضال المرنج^(٥)
ثم يقول في محل آخر (صفحة ٤٧) وهو يشبه بيت الهندي المصلوب المثبت آنفاً .
وقد جعل الحرباء يبيض لونه ويخضر من لقع الهجير غباغه
ويشبح بالكهفين شبحاً كأنه اخو فجرة عالي به الجذع صالبه
ويقول فيها أيضاً :

لظى تلهح الحرباء حتى كأنه اخو جرعات بز ثوبه شاح^(٦)
ومثله (ص ٥٩) :

كان يدي حربائها مقشما بدا مذنب يستغفر الله تائب
ولا أدري ما الذي أربله بالحرباء حتى استنزف قوى دماغه وصقاله وهذبا به
ومما يميزه في شعره تغاليه في استعمال الحوشي من الكلام كقوله من قصيدة
في محبوبته الثانية خرقاء العامرية (ص ٣٧) :

(١) الخرق الفلاة تخترقها الرياح ، والعلم الجبل الذي تهدي به الى ما حوله
من الارض والبلاد ، واللامع الذي يشير بثوبه من بعيد الى غيره . (٢) الملعة الارض
التي تلح بالسراب ، والشعاف رؤس الجبال ، والمعصوب الراشح الثابت . (٣) الهاجرة
اشتداد الحر في منتصف النهار . (٤) النشوان السكران ، والمشطونة بئر فيها عوجاج
ينزع منها بشطين اي جبلين . (٥) الكرى النوم ويراد برشاف الفضال شارب فضلة
الكأس ، والمترنج المتمايل من السكر . (٦) يشبه الحرباء بمجرم عاقى على العود بعد
ان نزع ثوبه عنه فهو عليه مشبوح اي مبسوط اليدين كالمصلوب .

قفر آكأف أرا عيل النعام به قبائل انزنج والحبشان والنوب
 هيئات خرقاء الا ان يقر بهسا ذوالعرش والشعشعانات الهراجيب
 وقوله في وصف ربيع معشوقته الاولى مية وفيه وصف للثيران (ص ٣٩) :
 تمشي به الثيران كل عشية كما اعتاد بيت المرزيان مراربه
 كأن سحيق المسك ربا ترابه اذا هضبت بالطلال هواضبه
 اذا سير الهيف الصهيل وأهله من الصيف عنه أعقبته نوازبه

سأل ذو الرمة الفرزدق يوماً ما بالي لأذكر مع النحول قال قصر بك عن غايتهم
 بكوك في الدمن ، ووصفك للابعار والعطن . وقد أجمع ثقات الجهابذة من نقدة
 الشعر على انه واسع الخيال غواص على المعاني عجيب التشابه ، ولكنه سيئ الاختيار
 اصرف مواهبه في وصف خسائس الاشياء والتافه من المواضيع فلا يجيد الاشكوي
 لوجد ووصف التباريح والثنائج مع الحسان فهو من هذا القهل في البدو مثل عمر بن
 ابي ربيعة في الخضر ولولا ذلك لبرز شعره شعر الجاهل الباغين من أبناء جلدته
 في صدر الاسلام بلا امرأ ولا جدال

(ما يؤخذ على النسخ والطابع ؟) : ان هذه النسخة التي اختيرت للطبع قد خلت
 من مقدمة خلافاً لسائر الدواوين والاسفار القيمة وليس للناظم فيها ترجمة حال
 تعرف منها هويته مع ان ذا الرمة مشهور معلو الأحوال وهذا ما حدانا لان نجد النفس
 ونوطي لمقالنسا بترجمة موجزة تررب عن حقيقة الناظم وتحال طباعه وأوضاعه لعامة
 القراء استكمالاً للفائدة ، وفي النسخة أغلاط عروضية لم يلبه اليها المصحح كقوله من
 قصيدة (ص ٢٠٠) هجو بها امرؤ القيس وهم بطن من بطون العرب .

اذا المرئي شبت له بنات عصبين برأسه ابةً وعارا
 اذا المرئي عيق ليوم نحر أهين ومدأ أبواعاً قصارا
 اذا مرئية ولدت غلاماً فالأُم مرضع تشغ المحارا

ولا يخفى ما في صدر البيت الاول من الخلل . ثم حيث ذكرت الاثافي وهي
 الحجارة التي توضع عليها القدر على النار جاءت الاشافي او الاسافي واطهر المصحح
 جهل لمعناها . وقد جاء الشرح مزيجاً موجزاً من الانكليزية والعربية لا يفهم منه

شيء من معاني الناظم وأغراضه فهو لا ينفع العربي ولا الانكليزي النفع المراد من الشعر الا ان يقصد به تفسير بعض الغريب من الالفاظ مما تعني عنه معاجم اللغة .
اقول هذا وانا معجب كل الإعجاب بآثار هي كنوزنا تكشف عنها هم رجال الغرب التراب ثم نحفنا بها أفاضاهم مجلوة مصونة كفلائد العقيان من مثل هذا الكتاب فلهم منا ما يجدر بهم من الشكر، ومن ربهم ما يستحقونه من الثواب والاجر .

سليم عجوري

عضو المجمع العلمي العربي

ثلاث رسائل للجاحظ

نشر السيد يوشع فنيكس في المكتبة السامية بمصر ثلاث رسائل للجاحظ الاولى في الرد على النصارى والثانية في ذم اخلاق الكتاب والثالثة في القيات جعلتها ادارة مجلة الزهراء الغراء هدية لقراءها في سنتها الثانية . وقد وقعت كلها في (٧٧) صفحة . وقد قدم لها الناشر الفاضل مقدمة قال فيها ان الرسالة الاولى وجدها في مكتبة الازهر وفي خزانة كتب صديقنا احمد تيمور باشا اختارها عبيد الله بن حسان واما الرسالتان الثانية والثالثة فوجدتهما في مكتبة نور الدين بك مصطفي من هواة الكتب في القاهرة . ثم ترجم العلامة الجاحظ ترجمة مختصرة نقلاً عن بعض الثقات الذين تعرضوا لذكره .

وقد نقل الناشر صورة كتاب للفتح بن خافان كتبه الى الجاحظ وبه استدلال على ان كتاب الرد على النصارى له وعلى منزلة الجاحظ من العلم قال : « ان امير المؤمنين يجد بك ، ويهش عند ذكرك ، ولولا عظمتك في نفسه — لملك ومعرفتك — لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه ، ولغصبك رأبك وتديريك ، فيما انت مشغول به ومتوفر عليه . ولقد كان القى الي من هذا عنوانه ، فزدت في نفسه زيادة كلف بها عن تبشيتك . فاعرف لي هذه الحال ، واعنقد هذه المنة على كتاب (الرد على النصارى) واغفر منه وعجل به الي ، وكن من جدابه (؟) على نفسه ، ونال مشاهرتك . قد استطلعت ما مضى ، واستسلمت لك لسنة كاملة مستقبله ، وهذا مما لم تحتم به نفسك .

وفد قرأت رسالتك في (بصرة غنام) ولولا اني ازيد في مخيلتك لعرفتكم ما يعتبرني عند قراءتها والسلام» . وانت ترى ان ابن خاقان كان يئن على الجاحظ بأقصائه عن مجلس الخليفة لثلاث يضيع عليه وقته بعشرة العطاء و ينصرف الى التأليف . والجاحظ في غنية عن مسامرة الخلفاء ونقلد وزاراتهم وأعمالهم . قال ميمون بن هارون قلت للجاحظ : لك بالبصرة ضيعة فتبسم وقال : انا وجارية وجارية تخدمها وخدام وحمار ، أهديت كتاب الحيوان الى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب البيان والتبيين الى ابن ابي دؤاد فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب الزرع والنخل الى ابراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار ، فانصرفت الى البصرة ومعني ضيعة لا تحتاج الى تجديد ولا تسميد .

وبعد فلا شك في ان هذه الرسائل الثلاث هي للجاحظ لانها نمطه الخاص في تأليفه وانشائه ، منسوجة على أسلوبه العجيب في رسائله وكتبه ، وكل ما خاض ابو عثمان عيابه من الموضوعات ، تظنك وانت لثلوه ولتدبره كأنه لم ينقش غيره حياته ، هكذا هو فيما طبع له حتى الآت من كتاب الحيوان والبيان والتبيين والبخل ، والتاج وغيرها من رسائله الغربية في وضعها وعموم نفعها ، والتي أفنى الليالي ولا تنفك مما يستفاد منه ، وكما ندرسه المتدارسون اشدادوا منه عقلاً جديداً ، وحكمة خالدة رائعة ، منذ عالج الجاحظ وثبات من المباحث الدينية والمشاكل الاجتماعية والمسائل الأدبية ، فجلاها بتيبانه واي جلاء ، واردها من واسع علمه وبعد نظره ما يستغرب ويستطرف على وجه الدهر ، ومن افتصر على نلاوة ما كتب رحمه الله يجي منه أديب وكاتب وعالم ، وعسى الايام ان تظفر الباحثين باكثر ما خطته انامله التي افضلت على العلم والعرب والاسلام ، وكل درة يعثر عليها من درره نعد في الدخائر الثمينة من ركاز الآداب الرفيعة والكنوز المدفونة .

والى القاري جملة من رسالة القيان أوردتها الجاحظ على لسان غيره في تاريخ الحجاب في الاسلام شأنه في بعض مواطنه اذا اراد اثبات قضية او التهديد في امر ومن ذلك انه اعترف بانه كان يضع الكتاب فلا يؤبه له فيضع الآخر بنسبه الى من تقدمه ومنهم سهل ابن هرون فيميش له الناس ويعجبون به ولعل قوله هذا في القيان من هذا القبيل قال :

الحجاب في الاسلام

لم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب ، ولا كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة الفتنة ، ولا لحظة الخلسة ، دين ان يجتمعوا على الحديث والمسامرة ، ويزدوجوا في المناسمة والمشافهة ، ويسمي المولع بذلك من الرجال « الزير » المشتق من الزيارة ، وكل ذلك بأعين الأولياء ، وحضور الأزواج : لا ينكرون ما ليس بمنكر اذا آمنوا المنكر ، حتى لقد حصل في صدر اخي بائنة من جميل ما حصل من استعظام المؤانسة ، وخروج العذر عن المخالطة ، وشكا ذلك الى زوجها وهزه ما حشمه ، فكنا للجميل عند اتيانه بائنة ليقتلاه ، فلما دنا لحديثه وحديثها ، سمعاه يقول متحذرا لها : هل لك فيما يكون بين الرجال والنساء فيما يشفي غليل العشق ، وبطني نائرة الشوق ؟ قالت : لا . قال ولم ؟ قالت ان الحب اذا نكح فسد . فأخرج سيفا قد كان اخفاه تحت ثوبه فقال : اما والله لو انعمت لي لملاأته منك . فلما سمعا ذلك وثقا بغيره ، وركنا الى عفافه ، وانصرفا عن قتله ، وأباحاه النظر والمحادثة .

فلم يزل الرجال يتحدثون مع النساء في الجاهلية والاسلام ، حتى ضرب الحجاب على نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة . وبذلك المحادثة كانت سبب الوصلة بين جميل وشينة ، وعفراء وعمريرة ، وكثير وعذرة ، وقيس وليلى ، واسماء ومرقش ، وعبد الله بن عجلان وهند . ثم كانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث ، ولم يكن النظر من بعضهم الى بعض عاراً سيف الجاهلية ولا حراماً في الاسلام ثم ان النساء الى اليوم من بنات الخلفاء وامهاتهم فمن دونهن يطفن بالبيت مكشفات الوجوه ونحو ذلك لا يكمل حج الا به

. . . . وهذا الحديث وما قبله يبطلان ما روت الحشوية من ان النظر الاول حلال والثاني حرام ، لانه لا يكون محادثة الا ومعها ما لا يحصى عدده من النظر ، الا ان يكون عنى بالنظرة المحرمة ، النظر الى الشعر والجاسد وما تحفيه الجلابيب ، مما يحل للزوج والولي ويحرم على غيرهما ثم لم يزل للملوك والاشراف اماء يختلفن في الحوائج ويدخلن في الدواوين ، ونساء يجاسن للناس ، مثل خالصة جارية الخيزران ،

وعتبة جارية ربيعة ابنة ابي العباس ، وسكر وتركبة جارية ام جعفر ، ودقاق جارية العباس ، وظلوم وقسطنطينية جارية ام حبيب ، وامرأة هارون بن معبوبة ، وحمدونة أمة نصر بن السندي بن شاهك . ثم كن يبرزن للناس احسن ما كن ، وأشبه ما يتزين به ، فما انكر ذلك منكرا ، ولا عابه عائب .

... والدليل على ان النظر الى النساء كهن ليس مجرام ، ان المرأة المغنية تبرز للرجال فلا تحتشم من ذلك ، فلو كان حراما وهي شابة لم يحل اذا غنت ، ولكنه امر أفرط فيه المتعدون حد الغيرة الى سوء الخلق ، وضيق العطن ، فصار عندهم كالحق الواجب . وكذلك كانوا لا يرون بأسا ان تنقل المرأة الى عدة أزواج لا ينقلها عن ذلك الا الموت مادام الرجال يريدونها ، وهم اليوم يكرهون هذا ويستسحبونه في بعض ، ويعافون المرأة الحرة اذا فارقت زوجا واحدا ، ويلزمون من خطبها العار ، ولحقون به اللوم ، ويعيرنها بذلك . ويتحظرون الأمة وقد تداولها من لا يحصى عدده من الموالي . فمن حسن هذا في الاماء وفجعه في الحرائر ؟ ولم لم يغاروا في الاماء ومن أمهات الاولاد وحظايا الملوك وغاروا على الحرائر ؟ الا ترى ان الغيرة اذا جاوزت ما حرم الله فهو باطل ، وانها بالنساء لضعفين أولع حتى يغرن على الظن والحلم في النوم ، وتغار المرأة على ابيها وتعادي امرأته وسريته .

... ثم هذا ايضا وزن الابهية ، وأصناف الفرش والوشى واللباس ، ووزن القنوات التي تجري فيها المياه ، وانما تعني بالوزن الاستواء في الخروط والتركيب . فلا بد لما ^(١) لا يمنع الناظر من النظر الى الزرع والفرش والبنفسج في خضرته والاستنشاق من روائحه ، ويسمى ذلك كله حلا ، ما لم يد ^(٢) له بدأ ، فاذا مد يدا الى مثقال حبة من خردل بغير حقها فعل ما لا يحل ، واكل ما يحرم عليه ، وكذلك مكالمة القيان ومفاكهتهن ومغازلتهن ، ومصاغتتهن للسلام ، ووضع اليد عليهن للتقليب ، والظر حلال ما لم يشب ذلك ما يحرم . وقد استثنى الله تبارك وتعالى ألم فقال : « والذين يحبون كباثر الاثم والفواحش الا ألم ، ان ربك واسع المغفرة » م . ك

(١) كذا الأصل . (٢) في الأصل « كله له حل ما يمد » .

اعلام النبلاء

« بتاريخ حلب الشهباء »

تأليف الشيخ راغب الطباخ ، الجزء الخامس ص ٥٧٥ والجزء السادس ص ٥٥٢ طبعاً في المطبعة العلمية في حلب ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م — ١٩٢٦ م

هذان الجزآن خصهما رصيفنا المؤلف الأديب بتراجم مشاهير حلب منذ سنة ٧٤٩ هـ الى سنة ١١٧٣ هـ ، وفي الجزء الخامس ١٠٨ تراجم لثمة القرن الثامن و ١٩٧ ترجمة من اهل القرن التاسع و ١٨٩ من القرن العاشر اي انه جرى ترجمة ٤٩٤ ، وحوى الجزء السادس ٢٣٧ ترجمة منها ٩٠ من اهل القرن العاشر و ٧٥ من القرن الحادي عشر و ٧٢ من الثاني عشر وفيها كالجاء الرابع تراجم كثير من مشاهير من انبتهم الشهباء على الطريقة التي اختارها المؤلف من نقل كل ما اثر عليه واختيار المطول من التراجم . وامتاز الجزآن بان فيهما تراجم كثير من المحدثات والادبيات ولكن تراجم مختصرة لان المصادر التي اخذ عنها لم تطل في الترجمة لكن ، وجرى بعض من ألفوا كتب التراجم في القرون الوسطى فترجم للجاذيب والمرورين المهوسين وأغفل ترجمة القاشين والممارين والمغنين على نحو ما فعل النجم الغزي في الكواكب السائرة فان نقد رضي الدين الحلبي في تاريخه « در الحبيب في تاريخ حلب » لعنايته بتراجم النقاش والتاجر والمغني والمطنبر والعاشق والممار وغيرهم ممن عدم في العوام وجوز لنفسه ترجمة الجاذيب ومن كان على شاكلتهم . فكنا نأمل من المؤلف المعاصر ان ينقل على الأقل تراجم تلك الطبقة التي ترجم لها رضي الدين وعابه بها نجم الدين فان ترجمة الشيخ ابي بكر بن ابي الوفا المجذوب التي أطال فيها جداً لا تهم المجتمع اليوم بقدر ما يهمهم التطويل في تراجم بني المديم وبني الشحنة وبني الكواكبي وبني الكوراني من الأسر العربية في العلم والمجد في الشهباء من أخرجوا للامة العربية عدة بطون اشتهرت بالفنائل والآداب والاسلام افتخر بمثل هؤلاء العظماء لا بالجاذيب وكرامات المغفلين والخرفين . وحسبنا لو صحت عزيمه بعض القابضين على أزمة الافلام في حلب على ترجمة مشاهير بلدهم بأسلوب جديد على النحو الذي جرى عليه نابغة مصر الدكتور طه حسين في كتابه « ذكرى ابي العلاء »